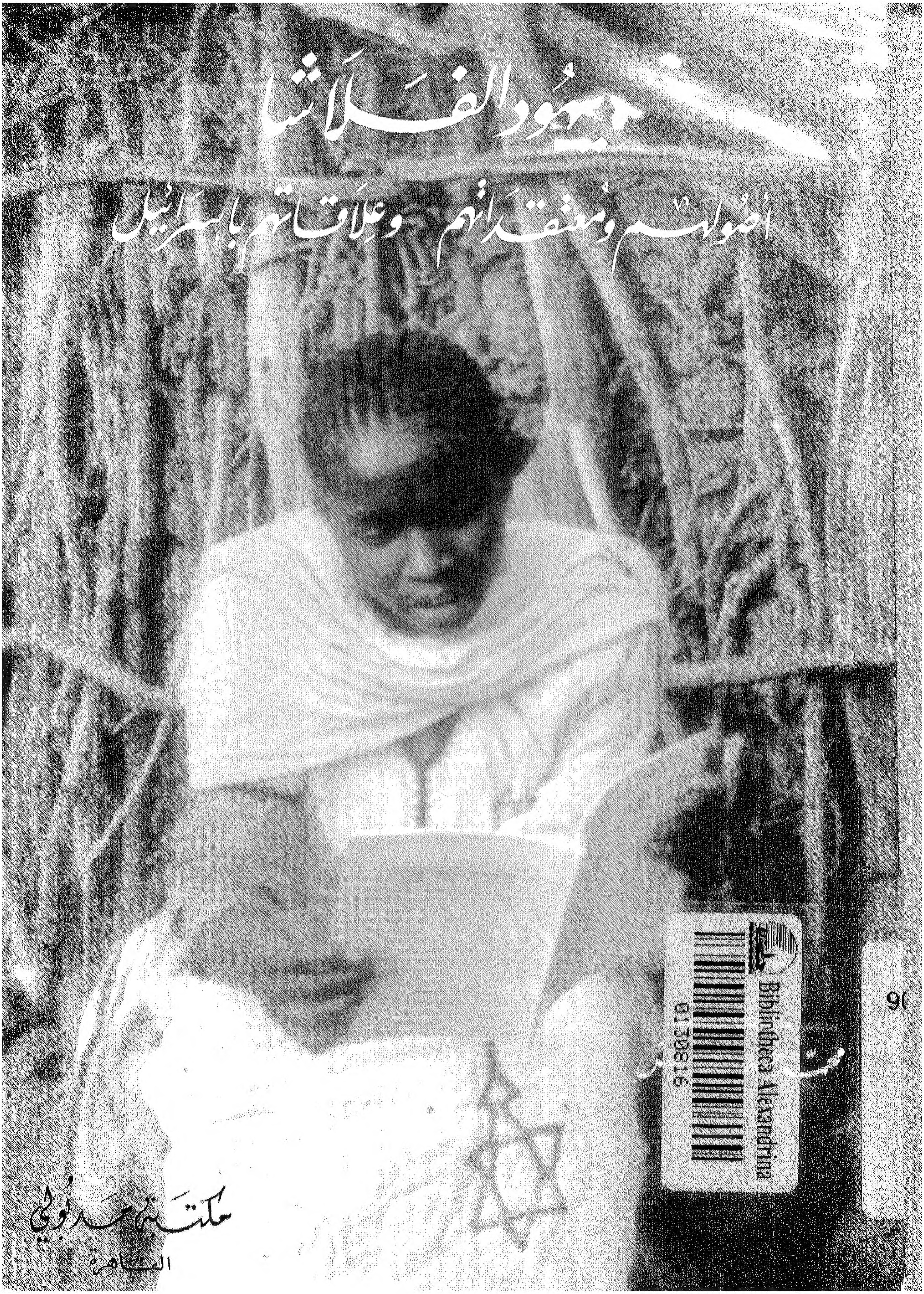

يهود الفلاشا

أصولهم ومعتقداتهم وعلاقاتهم بإسرائيل

Bibliotheca Alexandrina
0130816

مكتبة مدبولي
القاهرة

يهـود الفلاشـا
أصولهم ومعتقداتـهم
وعلاقاتهم باسرائيل

دكتور

محمد جلاء ادريس

١٩٩٣

مكتبة مدبولي
القاهرة

إهــــداء

إلي أستاذي الجليل

الدكتور محمود فهمي حجازي

الذي أثار في ذهني فكرة هذا الكتاب ،

والذي كان دائماً الموجه والمشرف والناصح .

تحية واحتراماً وتقديراً ،

محمد جلاء ادريس

المحتويات

الموضوع	الصفحة
مقدمة	٧
الفصل الأول : أصول الفلاشا	٩
١– كوش والحبشة وأثيوبيا	١٣
٢ – أصل الفلاشا	١٦
أولاً : الفلاشا والأسباط العشرة .	١٧
ثانيا : الفلاشا من يهود مصر .	٢٤
ثالثا : الفلاشا واليمن .	٢٨
رابعا : الفلاشا بين مصر واليمن .	٣٣
خامسا : الفلاشا وقبيلة أجاو	٣٣
٣– الفلاشا واسطورة سليمان	٣٥
٤ – اليهود فى الحبشة	٧٤
الفصل الثانى : الفلاشا : حياتهم ومعتقداتهم	٨٣
١ – تسميتهم ونشاطاتهم	٨٧
٢ – يهودية الفلاشا	١٠٠
أولا : معتقدات الفلاشا وكتبهم المقدسة .	١٠٠
ثانيا : الصلاة والكنيس.	١٠٥

الموضـــــوع	الصفحة
ثالثـا : يوم السبت عند الفلاشا .	١٠٧
رابعـا : التقويم والأعياد .	١١٣
خامسا : الصوم عند الفلاشا .	١١٩
سادسا : الطعام الحلال (الكاشير)	١٢٢
سابعـا : النجاسة والطهارة .	١٢٤
ثامنـا : الختان .	١٢٩
تاسعا : الفلاشا : زواجهم وطلاقهم .	١٣٣
عاشـرا : الدفن والحداد .	١٣٧
الفصل الثالث : الفلاشا واسرائيل	١٤١
أولا : الهجرة والهوية .	١٤٥
ثاينا : الاتصالات اليهودية – الفلاشية .	١٦٥
ثالثا : تهجير الفلاشا الى اسرائيل.	١٧٣
رابعا : أحوال الفلاشا فى اسرائيل .	١٨٩
خاتمـــة	١٩٧
المراجـــع	١٩٩

مقـــدمة

أثارت قضية تهجير الفلاشا الى اسرائيل ردود فعل متباينة ، فالجانب العربى استنكر وأدان ، والجانب المؤيد لاسرائيل ابدى اعجابه باسرائيل ودقتها فى تنفيذ هذه العملية الكبيرة أمام أعين العالم كله ، وفريق بين الجانبين لم يكترث، اذ أصبح من المألوف فى الآونة الاخيرة أن نسمع عن هجرة تلو أخرى لآلاف من الشرق والغرب بحجة العودة الى «أرض أسرائيل» ٠

والجديد فى هجرة يهود الفلاشا ، أن هؤلاء المهجرين يختلفون عن غيرهم فى جوانب كثيرة ، لعل أبرزها بعدهم التام عن اليهودية ، واستقرارهم الى حد كبير فى الحبشة دون تسجيل أية اضطهادات موجهة اليهم على نحو ما قد يكون فى بيئات أخرى٠

بل ان اليهود أنفسهم يتشككون فى يهودية هؤلاء الفلاشا ومازالوا لايعترفون بصدق ايمانهم الامر الذى جعل فتاوى الحاخامات تفرض على كل فلاشى أن يمارس بعض الطقوس مجددا ليهوديته٠

ولكن : من هم الفلاشا ؟ ماهى أصولهم؟ وماهى معتقداتهم ؟ هل هم يهود حقا؟٠

وهل يتطلعون الى « أرض الميعاد» ؟

ثم، كيف تمت هجراتهم الى الأراضى الفلسطينية؟

من من العرب وغير العرب ساندهم فى هجرتهم ؟

وما هو حالهم فى اسرائييل بعد الهجرة؟

وما هو مستقبلهم وقد اجتثوا من بيئتهم وغرسوا فى تربة جديدة لا تتلاءم على الاطلاق ومكوناتهم النفسية والاجتماعية٠٠٠٠؟

من أجل الاجابة على هذه الأسئلة وغيرها ، أقدم هذه الدراسة لعلها تسد نقصا فى المكتبة العربية، والله من وراء القصد ٠

الجيزة : ١٩٩١ م

د٠ محمد جلاء أدريس

الفصل الأول

أصـــول الفلاشـا

١- كوش والحبشة واثيوبيا :

هناك تسميات ثلاث ينبغى أن نوضح دلالالتها قبل الحديث عن أصول الفلاشا ، وهى تتعلق بالموطن الاصلى الذى ينسبون اليه ٠

فنحن أمام أثيوبيا والحبشة وأرض كوش ٠

فأما لفظ أثيوبيا فهو يونانى الاصل ، أطلقه اليونان القدماء على البلاد المتاخمة لحدود مصر جنوبا، وهو ماكان يسميه الفراعنة مملكة كوش، ثم أتسع مدلول هذه التسمية فى العصر الرومانى فشمل مابين النيل والبحر الاحمر وأحيانا بعض المناطق الواقعة غرب النيل مثل منطقة مرو ٠

بل لقد وجدنا من يطلق على اليمن أثيوبيا الآسيوية بالرغم من وقوعها شرق البحر الاحمر . (١)

وقد وصف مؤرخو اليونان - من أمثال هيرودوت ، وديودور الصقلى وسترابون أثيوبيا بما يدل على أنها ليست هى الحبشة

---

(١) عبد المجيد عابدين ، بين الحبشة والعرب ، دار الفكر العربى ، د.ت. ، ص ٧ - ٨ .

مطلقا ، بل هى النوبة العليا وجزيرة مرو ٠والنقوش الهيروظيفية التى ترجع الى الاسرة السادسة والثانية عشرة والثامنة عشرةتشير الى أن القوافل المصرية التى جابت هذه الانحاء لم تصل الا الى نهاية النيل الازرق فقط(١)٠

وقد استخدم لفظ الحبشة للدلالة على الجهة الشرقية والتى نزح سكانها إليها من اليمن ودعوا ملكهم « كبرانجشت » أى ملك ملوك الاحباش(٢)٠

أما كوش فكان المصريون القدماء يطلقونها على بلاد النوبة – وورد فى سفر التكوين :

« وبنو حام كوش ومصرايم وفوط وكنعان ، وبنوكوش سباو حويله وسبقه ورعمة وسبتكا ، وبنو رعمة شبا ودان ٠ وكوش ولد نمرود ٠٠» ١٠ : ٦– ٨ ٠

فكوش اذا حاميون لاساميون ٠ وموطنهم الاصلى بلاد النوبة ، وقد ورد فى العديد من المواضع من العهد القديم ذكرهذا الاسم :–

«من عبر أنهار كوش المتضرعون الى متبددى يقدمون تقدمتى» صفنيا ٣ : ١٠

« يأتى شرفاء من مصر ٠ كوش تسرع بيديها الى الله » مزامير ٦٨– ٣١

« ياأرض حفيف الاجنحة التى فى عبر أنهار كوش » اشعيا ١٨ : ١

---

(١) انطون ذكرى ، قصة ملكة سبأ ، دان ، د . ت ، ص ٤ .
(٢) المرجع السابق .

ويبدو أن الكوشيين قدنزحوا من بلاد النوبة باتجاه الجنوب ، واصبحوا أحد عناصر ثلاثة يتألف منها الاحباش : الكوشيون ، الافريقيون والساميون ٠

ولكل عنصر من هذه العناصر لغته٠ فالكوشيون يتكلمون الكوشيه ، وهى فرع من اللغات الحامية (البربرية) ويتكلمها فى الحبشة شعوب البجة والاجاو والجلا وغيرهم والافريقيون يتكلمون عدة لغات منها البانتو ٠

والساميون يتكلمون لغات أشبه بالعربية الجنوبية ، أقدمها الجعز وقد ظلت لغة حديث وتعامل فى الحبشة خلال القرون الثمانية الاولى من تاريخ الحبشة ، وحتى تغلبت عليها لغة الدولة السليمانية فيما بعد والمسماة بالأمهارية ، وهى سامية أيضا ، كما أن هناك لغات سامية أخرى مثل التيجرى وغيرها ، وتشير النقوش القديمة التى عثر عليها فى الحبشة أن اللغة السبئية قد أستخدمت فى بعض مراحل تاريخ الحبشة ، كما وجد الباحثون تشابها بين سبأ والقبائل السامية المهاجرة فى بعض العقائد الدينية(١)، وليس ثمة غرابة فى وجود تشابه لغوى أوعقيدى ، فالاتصال بين الجانبين – عبر مضيق باب المندب–هو أمر ميسور للغاية٠

وقد أخذت هذه البلاد اسم الحبشة – من قبيلة حبشت العربية اليمنية ، وكانت تسكن على الساحل الجنوبى للجزيرة شرقى حضرموت ثم هاجرت وسكنت فى شمال الحبشة فسمى الاقليم باسمها ، ثم أطلق العرب «الحبشة» على جميع البلاد ، وقد وجد هذا

---

(١) عبد المجيد عابدين ، المصدر السابق ، ص ١٠

الرأى مؤيديه من امثال جلاسر ورينان وكونتى روسينى وموسكاتى وجويدى وغيرهم ، وكان لهذه القبيلة السامية تأثير على البلاد يضاف الى تأثير حضارات أخرى أبرزها الثقافة اليهودية والهلينستية·

والامر الذى يعنينا هنا هو كيف وصل اليهود الى الحبشة ؟!

أوبعبارة أخرى ، ماهو أصل الفلاشا ؟

٢- أصل الفلاشا :

فى غياب الحقائق التاريخية راجت نظريات وآراء متعددة حول أصل يهود الفلاشا وقد لاتوجد نظرية مقنعة حتى الان يمكن أن نعتمد عليها فى التأريخ لهذه الطائفة·

ويمكن ايجاز أبرز الآراء التى قيلت فى هذا الصدد فى خمس نظريات على النحو التالى :-

أولا : الفلاشا : هم نسل الاسباط العشرة المفقودة ، وبخاصة سبط دان ، رحلوا الى أثيوبيا بين القرن العاشر قبل الميلاد والقرن الثانى الميلادى·

ثانيا : هم من نسل يهود هاجروا من مصر فيما بين القرن الثانى والقرن السابع الميلاديين وتزاوجوا مع السكان المحليين ·

ثالثا : هم يهود هاجروا من اليمن بين القرن الثانى الميلادى وحتى نشوب الحرب بين الملك الاثيوبى النصرانى كالب وبين الملك العربى الجنوبى اليهودى هجر المعروف بيوسف ذى نواس فى القرن السادس الميلادى·

رابعا : هم موجات يهود هاجروا خلال فترات مختلفة من مصر

وجنوب الجزيرة العربية فيما بين القرن السابع قبل الميلاد والقرن السادس الميلادى ، وتزاوجوا واختلطوا بالسكان المحليين ٠

خامسا : هم نسل سبط أجاو (أثيوبيون يتحدثون اللغة الكوشية) تهودوا وأتخذوا لانفسهم شكلا خاصا من اليهودية وذلك فيما بين القرن الرابع والقرن الخامس عشر الميلاديين ٠

وسنحاول خلال هذه الصفحات مناقشة الآراء السابقة للوصول الى اقرب الآراء الى الصواب فيما يتعلق بأصل يهود الفلاشا وكيفية وصولهم الى الحبشة ٠

أولا : الفلاشا والأسباط العشرة

ذهب أحد الرحالة اليهود ويدعى الداد هدنى - خلال القرن التاسع الميلادى الى أنه بعد انقسام المملكة اليهودية بين رحبعام بن سليمان ويربعام بن نبط واقتتالهما قرر سبط دان الا يشارك فى الحرب الناشبة فى هذه المنطقة التى يعيش فيها أبناء السبط مع ثلاثة أسباط أخرى هى نفتالى وجاد وأشر[١].

---

(١) نذكر هنا أن سبط دان هم ابنا الجارية بلهة التى تزوجها يعقوب عليه السلام ، وهى خادمة راحيل زوجته ، اذ تزوج يعقوب من اختين هما ليا وراحيل - كما تزوج من جاريتيهما زلفة وبلهه ، وربما يكون فى هذا الزعم مقدمة للوضع المنتظر للفلاشا فى اسرائيل ، فهم ابنا جارية ، وسود البشرة ، وعليهم أن يقوموا بما يقوم به أبناء الجوارى حتى ولو بعد ثلاثين قرنا من الزمان .

وقد يكون لهذا الرأى سند معين من « المقرا » [1] ذاته ، عاد ليؤكده الحبر عوقديا الذى التقى مع أسيرين من اليهود الاحباش فى مصر فى القرن السادس عشر ووصفهم قائلا :

وهما يقولان أنهما ينتسبان الى سبط دان ·

ثم يكتب الحبر دافيد بن زمرا فى اجاباته على أسئلة تتعلق بيهود كوش فى القرن السادس عشر فيقول : لاشك أنهم من سبط دان الذى هاجر الى الحبشة قبل أيام الهيكل الثانى ·

وقد ذاع هذا الاعتقاد بين يهود الحبشة أنفسهم ، وما جاور الحبشة كذلك ، حتى زمن غير بعيد ·

ويذهب المؤيدون لهذا الرأى الى أن النبى اشعيا الذى عاش أيام نفى الاسباط العشرة الى أشور ، أيام هو شع بن أيلا ملك أسرائيل (مائة سنة تقريبا قبل تدمير الهيكل الاول ونفى اليهود) قد تنبأ بما سيحدث آخر الزمان ، وقت أن تجتمع أسرائيل ويهودا من أماكن منفاها ، وقد ذكر أشعيا أرض كوش من بين هذه الاماكن ·

«ويكون فى ذلك اليوم أن السيد يعيد يده ثانية ليقتنى بقية شعبه التى بقيت من أشور ومن مصر ومن فتروس ومن كوش ومن عيلا م ومن شنعار ومن حماة ومن جزائر البحر ، ويجمع منفيى اسرائيل ويضم مشتتى يهوذا فى أربعة أطراف الارض · أشعيا : ١١- ١٢·

كما نجد نبوءة أخرى عن عودة الشعب الساكن عبر أنهار كوش ،

---

(١) المقرا هو لفظ يطلق على العهد القديم عند اليهود .

الى أرض الرب ، الى صهيون ، فى سفر صفنيا : –

«من عبر أنهار كوش المتضرعون إلى ، متبددى يقدمون تقدمتى »٠ ٣ : ١٠

ولكننا نتوقف هنا عند المقصود بأرض كوش وفق ماسبق أن بيناه ، من أنها تعنى بلاد النوبة ، ولعل فى اشعيا ما يؤكد أن كوش هى جزء من أرض مصر .

« يا أرض حفيف الاجنحة التى فى عبر انهار كوش المرسلة رسلاً فى البحر وفى قوارب من البردى على وجه المياه » أشعيا ١٨ :١

فهل اذا سايرنا ما يريد أصحاب هذا الرأى تأييده ، من أن النبوءات المقدسة تعنى بيهود كوش ، فلاشا الحبشة ، يمكن أن نجد تبريرا لاستخدام كوش للبردى ؟! ٠

هل تثبت المكتشفات أن الاحباش قد استخدموا هذا النبات على هذا النحو أم أن المصريين القدماء هم أصحاب الباع فى استخدامه ؟!٠

أدلة اليهود على أن الفلاشا من سبط دان

ان المحاولات اليهودية التى تسعى لتأصيل هذه الطائفة وفق الرأى السابق لتعتمد على أدلة أوهى من خيوط العنكبوت ولاتعدو كونها روايات رحالة أوأحاديث أفراد ، لايمكن لها أن تصمد فى مجال التحقيق العلمى ٠

وأول مايعتمد عليه اليهود فى أصل الفلاشا وانتمائهم الى سبط دان أحد الاسباط العشرة عبارة عن ذكريات رحالة ظهر فى القرن التاسع الميلادى ويدعى الداد هدنى ، ظهر فى عدة تجمعات يهودية فى بابل ومصر والقيروان وأسبانيا ، وراح يتحدث فى هذه الاوساط عن بقايا أسباط يهودية التقى بها فى رحلاته الافريقية وفى غرب ووسط آسيا ٠

وقد أحضر هدنى معه بعض شرائع خاصة بالذبح تختلف كثيرا عما أقره حاخامات اليهود على مر العصور ، وتشبه الى حد كبير مايسود بين يهود أثيوبيا فى عصرنا الراهن ، وقد صدق كثير من أحبار اليهود مارواه هذا الرجل ، وتشكك أخرون فى رواياته٠

وجدير بالذكو أن هدنى قد بنى آراءه وتصوراته على ماسمعه من يهود أثيوبيا أنفسهم حيث زعموا أنهم قبل تدمير الهيكل الاول كانوا يعيشون فى اسرائيل أبطالا

مغاوير ، ولما تولى زمام الامور يربعام بن نبط الذى عبد العجول الذهبية ، انقسمت في عهده مملكة داود ، وتجمعت الاسباط لتقاتل رحبعام الآن سبط دان رفض أن يقاتل اخوانه من اليهود ، وخرج هائما يبحث عن ملجأ له ومقام أمين يعيش فيه ، وهنا قرر رؤساؤهم الذهاب الى كوش عبر نيل مصر ، وتم ذلك بسلام ، ووصلوا الى كوش وكانت أرضا طيبة، وتزايدوا فيها وصاروا قوة ٠

أما الدليل الثانى الذى يعتمدون عليه هنا فهو رسالة للرابى الياهو الذى هاجر من ايطاليا واستقر في القدس عام ١٤٣٤ حيث عمل فى تدريس التوراة وتفسيرها ٠

وقد تحدث الياهوعن يهود الحبشة فى رسالة بعث بها الى ابنائه ، ثم كثرت فيما بعد الانباءالتى تتحدث عن يهود كوش ، وكيف كانوا يباعون فى اسواق النخاسة بمصر بعد سبيهم فى الحروب.

وتعتبر رسالة الياهو هى الوحيدة فى عصرها والتى تحدث فيها عن يهود الحبشة واختلافاتهم عن سائر اليهود وعدم ايمانهم بالتلمود .

والدليل الثالث لايختلف فى جوهره عن سابقه ، فهو رسالة من .لرابى عوقديا مفسر المشنا المعروف لدى اليهود - والذى هاجر من ايطاليا الى القدس عام ١٤٨٨ - فى هذة الرسالة التى بعث بها الى ابناء اسرته فى ايطاليا يحكى فيها قصة هجرته عبر مصر ولقائه ببعض اليهود الاحباش واسهب لاسرته عن احوال هؤلاء وحروبهم ضد اعدائهم.

والدليل الرابع تقدمه لنا فتاوى الرابى د افيد بن زمرا حجة عصره فى الشرائع اليهودية (١٤٧٩ - ١٥٧٢) ، فقد وُجِّه اليه سؤال فيه:-

أسرت أمرأة كوشية من ارض كوش المسماه بالحبش ، ومعها ولداها

اشتراهما رؤبين (ای رجل يهودی) وسئلت المرأة عن وضعها فقالت كنت متزوجة ، وهذان هما ولدای من زوجی المسمی فلان ، ثم هاجمنا الاعداء وقتلوا كل الرجال الذين كانوا فی الكنيس وسبوا النساء والاطفال ، واتضح ان هذه المرأة من نسل اسرائيل ، من سبط دان القاطنين جبال كوش ، ومنذ ذلك الحين وحتى الان وهی تعامل معاملة المرأة المهجورة ، وقد ضاجعها سيدها رئوبين وولدت له ابنا ، ولما كبر هذا الابن أراد أن يتزوج من بنی اسرائيل فهل يجوز ذلك ؟ وما حكم هذا الولد ؟ .

وكانت فتوی دافيد زمرا التی بدأها بتاكيد انتماء الفلاشا الی يعقوب وسبط دان قبل ان يحل المشكلة ذاتها – مما يجعلنا نتشكك فيها – علی النحو التالی :

كُما يعرف العالم ، هناك حرب بين ملوك كوش التی تضم ثلاث ممالك : احداها اسماعيلية (أی مسلمة) ، والثانية آرامية (أی نصرانية) متمسكة بدينها والثالثة اسرائيلية من سبط دان ، ويبدو أنهم من طائفة الصدوقيين واتباع بيتوس الذين يدعون بالقرائين وهم لايعرفون التوراة الشفوية ولا يشعلون الشموع ليلة السبت......

وفی سؤال آخر عن يهودی اشتری عبداً فلاشياً ، أرسل يستفسر عن طريقة التعامل معه .. وقد جاء رد زمرا مؤكدا علی أن يهود الفلاشا هم اشبه بالقرائين لاتسری عليهم احكام الربانيين فی هذا الامر .

« كل هؤلاء الاحباش القاطنين أرض كوش يسلكون مسلك القرائين صدوق وبيتوس الذين لا نوصی بفديتهم ولا اطلاق سراحهم ، أما هولاء القادمين من كوش فهم بلا شك من سبط دان ، وحيث لا اتصال بينهم

وبين حاخامات من اصحاب القبلاه فقد تمسكوا بما هو مكتوب لديهم، ولو كانوا قد تعلموا ما كفروا بأراء سادتنا . فهم كطفل سبى بين الجوييم ... وعليه فيجوز فداء هؤلاء.

ثم يختم زمرا فتواه متوجسا من امكانية اتمام نكاح بين احد ابناء هذه الطائفة وغيرهم من سائر اليهود لاختلاط امور الزواج والطلاق لديهم.

وقد استخلص اليهود من فتاوى زمرا ما يلى : -

١ - ان يهود كوش هم من سبط دان ، وصلوا الى كوش قبل تدمير الهيكل الثانى .

٢ - هم ليسوا كالقرائين ، اذ ان عدم ايمانهم بالتلمود لا يرجع الى الكفر به وانما لانعزالهم عن سائر اليهود .

٣- هناك خوف من التزاوج معهم . وان لم يصل ذلك الى حد التحريم والحظر .

وهكذا ، فان الادلة السابقة ، والتى يعتد بها اليهود لاثبات حقائق تاريخيةخطيرة لايمكن الاطمئنان اليها أو النظر اليها فهى أخبار آحاد من جهه ، وينقصها الدعم الوثائقى من جهة اخرى ، فاذا كان اليهود قد اقتنعوا بها ، فلا يمكن لذى لب أو ذى منهج علمى ان يسلم بها على الاطلاق .

ثانيا : الفلاشا من يهود مصر

ويرى أصحاب هذا الرأى أن طائفة من اليهود قد هاجرت فى اعقاب تدمير الهيكل الاول الى مصر ومنها الى الحبشة معتمدين على ما جاء فى ارميا :

« الكلمة التى صارت الى ارميا من جهة كل اليهود الساكنين فى أرض مصر ، الساكنين فى مجدل وفى تحفنحيس وفى نوف وفى أرض فتروس ... » ٤٤ : ١

فاليهود قد اتجهوا من مصر الى الجنوب .

كما يرى المؤيدون لهذا الاتجاه ان هناك تشابها بين اليهودية المصرية وبين طائفة بيت اسرائيل أو الفلاشا . ويعتقد I. Guidi أن هناك صلة بين الفلاشا وبين يهود يب (الفنتين) بالقرب من اسوان ، تلك الجالية اليهودية التى تم تدميرها فى نهاية القرن الخامس قبل الميلاد .

وتمادى انصار هذا الرأى فى ايجاد المبررات التى يدعمون بها وجهة نظرهم وقالوا بأنه مما يؤكد مصرية « الفلاشا » وجود تشابه فى يهودية الجاليتين ويتمثل فى عادة تقديم القرابين ، بالاضافة الى وجود مصطلحات آرامية فى الترجمات الجعزية للكتب المقدسة وكذلك وجود مصطلحات آرامية فى النص الجعزى للعهد القديم . (١)

ورداً على اصحاب هذا الرأى تقول : –

---

(١) نمازج لهذه الكلمات فى كورينالدى ، ميخائيل ، يهود اثيوبيا : الهوية والتقاليد (بالعبرية) القدس ١٩٨٨ ، ص ٨ .

١ – لابد من تبرير علمى مقبول للربط بين يهود يب ويهود الفلاشا ، فليس هناك تبرير لوجود صلة تاريخية بين جالية يزعمون انها عريقة فى مصر وأخرى لم تعرف الا فى العصر الحديث .

٢ – كما أن الوجود اليهودى فى يب أمر مبالغ فيه ، وهناك دراسات تدور حول التحقق من وجود مثل هذه الجالية ، فقد يكون الوجود اليهودى فى يب مجرد وجود لا يرقى لتكوين جالية محددة ومتميزة ، على النحو الذى يريد اليهود اثباته.

٣ – ولم نجد حتى الان ما يثبت نمطية الايمان اليهودى لمن كان فى يب من يهود – قلوا ام كثروا –فعلى سبيل المثال هناك فارق كبير بين مكانة السبت غير الرئيسية فى يب ومكانته عند الفلاشا على نحو ما سنوضحه عندالحديث عن يهودية الفلاشا .

٤ – حسب الزعم القائل بوجود اليهود فى يب قبل الميلاد بنحو خمسمائة عام ، فاننا لا نجد تبريرا لوصول العهد القديم وبعض الاسفار الاخرى المقدسة الى الفلاشا عن طريق يب ، فى الوقت الذى وجد فيه يهود يب فى مصر قبل اتمام كتابة العهد القديم .

٥– أمـا الاعتمـاد على ظاهرة تقديم القرابين كقاسم مشترك بين يهـود « يب » ويهود « الفلاشا » فاننا سنجد فى التقرير الذى نشره اليهودى يوسف هاليفى فى الجريدة الآسيوية عام ١٨٧٤ حول الدولة المعينية فى اليمن (١٣٠٠ – ٦٣٠ ق.م) والذى ضمنه عددا كبيرا من النقوش ، أن معظم هذه النقوش له صلة بالقرابين والعطايا (١) .

---

(١) Guidid , I. , L' Arabic Antéislemiqre , Paris , 1921 , p. 66

فمن المحتمل أن تكون عادات تقديم القرابين قد تسربت الى يهود اليمن فيما بعد ومنهم الى الحبشة .

٦ – وفيما يتعلق بالمصطلحات الآرامية اليهودية الموجودة فى النص الجعزى للعهد القديم فيرى اللغوى H. J. Polotsky (١) أنه من الصعب ان نسلم بدخول مثل هذه المصطلحات على يدى المبشرين النصارى المتحدثين لأن كل هذه المصطلحات ليست بذات أهمية عندهم ، وانما مصدرها التراث اليهودى الذى استوعبته النصرانية .

ولعل هذه المصطلحات جاءت نتيجة ترجمات جعزية للعهد القديم والكتب الاخرى من النص العبرى أو الآرامى .

٧ – هناك عامل آخر يقلل من امكانية قبول الرأى السابق ألا وهو العامل الجغرافى فالمسافة بين جنوب مصر واثيوبيا شاسعة ، ومن الصعب أن نقبل انتقال يهود الفلاشا من يب الى اثيوبيا دون أن يتركوا أى أثر يهودى فى الممالك السودانية الواقعة بين مصر واثيوبيا .

٨ – وثمة اعتراض آخر نوجهه الى هذا الرأى ، والى الآراء المشتركة معه والتى تحاول اثبات وجود اليهودية فى الحبشة قبل الميلاد ، وهوأنه ليس هناك ما يثبت وجود تأثيرات يهودية فى الحبشة قبل دخول المسيحية اليها ، خاصة فى مملكة اكسوم التى يرى الباحثون انها شهدت بدايات الوجود اليهودى فى الحبشة كلها .

H. J. Polotsky, Aramaic, Syriae and Geez " JSS , 9 (1964), P.(1)
I,10 نقلا عن كورينالدى ، مخائيل ، يهود اثيوبيا : الهوية والتقاليد (بالعبرية) ، ١٩٨٨ ، ص ٨ .

وقد رفض جانب من الباحثين الاقتراح السابق كله وعلى رأسهم Conti Rossini الذى نفى هذا الاحتمال تماما للبعد المكانى أولا ، ثم لاختلاف المنهج والسلوك بين يهود مصر ويهود الفلاشا[١] .

---

(1) Conti Rossini , " La Situazione Etnica del Nord - ovest dell , Abissinia , Veduta da uno Storico " Rassegna Sociale dell' Afrioca Etaliania 5 (1942)

نقلا عن فورينالدى ، المرجع السابق ، ص ٥٢ .

ثالثا : الفلاشا واليمن

لا يعتمد أصحاب هذا الرأى على التشابه فى السلوك الدينى بقدر ما يعتمدون على التقارب الجغرافى والأدلة الواضحة بشأن العلاقات التاريخية بين ساحلى البحر الاحمر.

ففى ضوء الاستيطان اليهودى فى جنوب الجزيرة العربية والعلاقات مع اثيوبيا قبل ظهور الاسلام، يقوم احتمال معقول لهجرة بعض يهود جنوب الجزيرة من خلال البحر الاحمر الى اثيوبيا ، الا أن تحديد زمن هذه الهجرة فيه أختلاف كبير ، فنجد روبنسون Robinson مثلا يتشكك فيما أذا كانت اليهودية قد تأسست بعد فى جنوب الجزيرة العربية قبل نهاية القرن الرابع الميلادى حتى تتمكن من نشر تأثيرها الى اثيوبيا(١) .

ويعارض ذلك ولندورف Ullendorff الذى ذهب الى أن السكان اليهود قد تواجدوا بالفعل فى بلاد العرب قبل الاسلام وقاموا بدور فعال فى الحياة الدينية والثقافية فى شبه الجزيرة العربية منذ القرن الاول الميلادى ، علاوة على ذلك فقد استوعبت تأثيرات يهودية فى اثيوبيا ليس فقط عن طريق مهاجرى جنوب الجزيرة العربية فى فترة سابقة، وانما أيضا فى فترة متأخرة جدا فى أعقاب سلسلة من الاحتلال الاثيوبى لجنوب الجزيرة الذى كان تأثير اليهودية فيه واضحا(٢) .

M . Robinson , "Sur la Question des Influences Juives en Ethiopie (1) , J S S 9 (1964) , p . 16 .

نقلا عن قوريتالدى المرجع السابق ص ٩ .

E . Ullendorff , Ethiopia and the Bible , London , 1968 pp . 20 - (2) 21 .

ونشير هنا الى أن الاحباش قدتمكنوا من احتلال اليمن مرتين فى عصر الدولة الحميرية الثانية (٣٠٠ م –٥٢٥ م) والتى أسسها شمريهرعش٠

أما الغزو الاول فكان عام ٣٤٠ م تقريبا كرد فعل لغزو ملوك حمير للسواحل الشرقية للحبشة وقد تم الغزو فى عهد يريم يرحب بن شمر يهرعش مؤسس الدولة، وانتصر الاحباش وفرملك حمير وأبناؤه الى يثرب ، مركز اليهودية فى الجزيرة العربية ٠

وكان اليهود قدجاءوا الى يثرب هربا وفراراً من الرومان بعد تدمير بيت المقدس عام ٧٠ م على يدى طيطس .

وقد تأثر قادة وزعماء حمير باليهودية وتهودوا ، بينما كان الاحباش يشجعون على نشر المسيحية فى بلاد اليمن بعد احتلالها ، وأستطاع المبشرون أن ينصروا عدداً كبيراً من سكانها ، وتم تأسيس كنيسة فى نجران ٠

وفى عهد عزانا الذى أعتنق الميسحية عام ٣٥٠م وجعلها الدين الرسمى للدولة الحبشية اندلعت بعض الثورات فى مملكته ، فانتهز اليمنيون الفرصة وتمكن ملكى كرب يهمن بن يريم يرحب الحميرى – وكان قد اعتنق اليهودية – من استرداد بلاده وطرد الاحباش فيما بين ٣٧٠– ٣٧٨م٠

ولايمكن لنا أن نلبس غزو الاحباش لليمن ثوبا دينيا ، اذ لم يكن ملك الحبشة (الاعميدا) قد نبذ الوثنية بعد ، ومن المرجح – كما ذهب الى ذلك الدكتور جواد على[١] – أن هناك عوامل اقتصادية ذات وزن

---

(١) جواد على – العرب قبل الاسلام – ط ١ ، ص ٤٤ ٠

دفعت الاحباش الى غزو اليمن لبسط نفوذ الدولة وهيمنتها على طرق التجارة آنذاك بخاصة ذلك الطريق الرئيس الذى يربط جنوب الجزيرة العربية بسوريا ومصر ·

وكان يوسف ذو نواس آخر ملوك حمير (٥١٠–٥٢٥م) والذى سقطت دولته على يد الاحباش فى غزوهم الثانى لبلاد اليمن ·

فقد كان تحول ملوك أكسوم الى المسيحية مؤشراً على بدء التقارب مع بيزنطة حامية نصارى الشرق ، واستطاع الاحباش أن يستغلوا العامل الدينى لتحقيق أهدافهم واطماعهم فى السيطرة على بلاد اليمن لضممان توزيع تجارتهم دون تعرضهم لاعتداءات ملوك حمير ·

وقد ربط ذو نواس بين انتشار المسيحية فى اليمن وبين ازدياد نفوذ الاحباش السياسى فى بلاده ولذلك مارس ضغوطه لتهويد نصارى نجران ، مما أعطى ملك الحبشة المدعو كالب الفرصة لغزو اليمن بحجة الانتقام لبنى دينه واستطاع أن يقتل ذا نواس عام ٥٢٥م ·

وقد نشر الدكتور اسرائيل بن زئيف فى كتابه « اليهود فى بلاد العرب » (ط ٢، ص ٦٦ – ٦٧) نقشين حميريين اكتشفهما الباحث ي · نيلبى فى نجران ، ويتحدثان عن الملك اليهودى يوسف ذي نواس وحروبه ضد جيوش الاحباش ·

ففى النقش الذى يحمل دقم ٥٠٨ جاء مايلى : –

« نقشت الأخبار الواردة فى هذا النص بعد أن أتمت جيوش الملك مهماتها البعيدة وبعد عودة قائدها يوسف أسار (ذونواس)

من عملياته العسكرية ضد الاحباش فى ظفار ، حيث نزل الملك الى أشعرن ، ووقف على رأس كتيبة حارب بها رجال محوان وقاتل المتحصنين فى شمير ٠٠٠ وكان من بين المقاتلين ضد رجال نجران أبناء سبط ذى همدان والعرب من أسباط كنده ومارد ومذحج٠ وقد تحصن الملك ضد جيوش الاحباش ومعه اخوته المنقوشة أسماؤهم لحيعات يرحام سميفع أشوع وشرحبيل مسعد من سبط يزن ٠

وقد نحت هذا النقش فى شهر ذى قيطن سنة ستمائة وثلاثة وثلاثين ، ولينصرالله رب السموات والارض الملك يوسف ضد كل عدو وبقوة الرحمن تحفظ هذه الكتابة من كل ضار ومزيف» ٠

يعادل تاريخ كتابة هذا النقش سنة ٥١٨ ميلادية .

وتزعم المصادر الاسرائيلية(١) وجود علاقات بين حمير ويهود فلسطين بناء على الاكتشافات التى عثر عليها فى مقابر بيت شعاريم والتى وجدت فيها قاعة ومجموعة مقابر خصصت لامراء يهود حمير وقادتهم ٠ وقد أشار اسرائيل زئيف الى أن هذه القاعة تعد أقدم دليل على وجود طائفة يهودية فى اليمن خلال القرنين الاول والثانى الميلادى ٠

ويهمنا من هذه الاحداث ، الاستنتاج الذى ذهب اليه يوسف هاليفى (١٨٢٧– ١٩١٧م) حيث قال أنه قدتم نقل أسرى الحرب اليهود اثيوبيا ، وكان الفلاشا من نسل هؤلاء الاسرى(٢) وينبغى أن نذكر

---

(١) قشانى ، رئوبين ، الفلاشا : التاريخ والعادات والتقاليد (بالعبرية) القدس ، د ٠ت ص ١٢

(٢) قورينالدى ، المرجع السابق، ص١٠ ٠

هنا أنه في عصر القيصر كالب الذى قضى على دولة حمير ، ذكرت منطقة سمين لاول مرة كمنفى لهؤلاء الاسرى ، وهى نفس المنطقة التى استخدمها الفلاشا حصنا لهم فيما بعد ٠

رابعا : الفلاشا بين مصر واليمن

أصحاب هذا الرأى يمزجون بيين الرأيين الثانى والثالث · فهم يرون أن الفلاشا هم نسل موجات من اليهود المهاجرين القادمين من مصر وجنوب الجزيرة العربية ، والتى وصلت فى فترات مختلفة ، وتزاوج يهودها مع السكان المحليين ، وليس لدينا من تعليق على هذا الرأى التوفيقى بعد استعراض مكوناته من خلال الرأيين السابقين ·

خامسا : الفلاشا وقبيلة أجاو

هناك كثير من الباحثين يرى أن الفلاشا ليسوا يهوداً أصليين وانما هم اثيوبيون من قبيلة أجاو ، تهودوا فى زمن غير معروف ، ويؤكد ذلك التشابه الكبير فى ملامح الوجه بين الفلاشا وجيرانهم ، بالاضافة الى التشابه العقيدى الواضح والمتمثل فى جزء كبير من معتقدات وتقاليد وكتب الفلاشا المقدسة وما يقابله لدى الكنيسة الارثوذ وكسية الاثيوبية الى درجة وصلت فيها الامور الى النقل المباشر عن الكنيسة · وبخاصة انتماء كثير من التقاليد الفلاشية – التى تتباين عما فى النصرانية – الى الوصايا المكتوبة فى العهد القديم ، والذى يؤمن به النصارى ايمانا كاملا ، وليس الى مايؤمن به سائر اليهود من كتب اخرى كالتلمود .

ويعتبر ولندورف على رأس المؤيدين لهذا الرأى اذ يعتقد أن الفلاشا هم سلالة العناصر التى عارضت تغيير دينها الى النصرانية فى مملكة اكسوم ، كما يرى آخرون ان التقاليد الدينية المميزة للفلاشا قد تبلورت

فى القرنين الرابع عشر والخامس عشر نتيجة لامتزاج عناصر دينية وسياسية أدت الى امتزاج عناصر وجماعات مختلفة سميت ايهود (يهود) وعرفت فيما بعد باسم الفلاشا أوبيت اسرائيل .(١)

---

(١) فور ينالدى ، المرجع السابق .

٣ – الفلاشا واسطورة سليمان

روجت الأوساط اليهودية اسطورة حول أصل الفلاشا تعتمد فى أساسها على ما جاء فى العهد القديم من ذكر لقصة سليمان عليه السلام مع ملكة سبأ .

وقبل الحديث عن هذه الأسطورة نسوق قصة سليمان مع هذه الملكة كما ذكرت فى سفر الملوك الأول :

« وسمعت ملكة سبا بخبر سليمان لمجد الرب فأتت لتمتحنه بمسائل· فأتت إلى أورشليم بموكب عظيم جدا بجمال حاملة أطيابا وذهبا كثيرا جدا وحجارة كريمة واتت إلى سليمان وكلمته بكل ماكان بقلبها · فأخبرها سليمان بكل كلامها · لم يكن أمر مخفياً عن الملك لم يخبرها به · فلما رأت ملكة سبأ كل حكمة سليمان والبيت الذى بناه وطعام مائدته ومجلس عبيده وموقف خدامه وملابسهم وسقاته ومحرقاته التى كان يصعدها فى بيت الرب لم يبق فيها روح بعد · فقالت للملك صحيحا كان الخبر الذى سمعته فى أرضى عن أمورك وعن حكمتك · ولم أصدق الأخبار حتى جئت وأبصرت عيناى فهوذا النصف لم أخبر به · زدت حكمة وصلاحا على الخبر الذى سمعته ·· طوبى لرجالك وطوبى لعبيدك هؤلاء الواقفين أمامك دائما السامعين حكمتك · ليكن مبارك الرب إلهك الذى سر بك وجعلك على كرسى إسرائيل · لأن الرب أحب إسرائيل إلى الأبد جعلك ملكا لتجرى حكما وبرا . وأعطت الملك مئة وعشرين وزنة ذهب وأطيابا كثيرة جدا وحجارة كريمة لم يأت بعد مثل ذلك الطيب فى الكثرة الذى أعطته ملكة سبا للملك

سليمان ، وكذا سفن حيرام التى حملت ذهبا من اوفير أتت من أوفير بخشب الصندل كثيرا جدا وبحجارة كريمة · فعمل سليمان خشب الصندل درابزينا لبيت الرب وبيت الملك وأعوادا وربابا للمغنين · لم يأت ولم ير مثل خشب الصندل ذلك إلى هذا اليوم · وأعطى الملك سليمان لملكة سبا كل مشتهاها الذى طلبت عدا ما أعطاها أياه حسب كرم الملك سليمان · فانصرفت وذهبت إلى أرضها هى وعبيدها » ١ ١- ١٢

أما الاسطورة التى بنيت على هذه القصة المقدسة السابقة ، فقد وردت فى كتاب يسمى « كبرا نجشت » أى مجد الملوك أو ملك الملوك ، وهو كتاب بلغة الجعز ، جمعه المؤرخون من مكتبات لندن وأكسفورد وباريس وروما ، وقد ترجم الى عدة لغات منها اللاتنية والانجليزية والالمانية ·

وفى منتصف القرن التاسع عشر أرسل رئيس جمهورية فرنسا « هيج لرو» الى أمبراطور الحبشة « منليك الثانى » بطلب منه الاطلاع على كتاب « كبرابحشت » لترجمته الى الفرنسية ، فأجابه الى طلبه وكتب اليه قائلا :

« من رأيى أن الشعب لا يدافع عن وطنه بأسلحته فحسب بل بكتبه أيضا · وأن الشعب الحبشى ليفتخر بهذا الكتاب الثمين · وأن جميع أفراد الشعب الاثيوبى ليغتبطون بترجمته الى اللغة الفرنسية وبانتشاره فى كافة أنحاء العالم ، ليعلم الناس أية رابطة تربطنا بشعب الله ، وأية كنوز سلمت لنا لحفظها ، ولهذا نصرنا الله تعالى على أعدائنا »·

وقد شاء الله تعالى أن نطلع على أحد هذه « الكنوز » متمثلا فى ترجمة عربية لعدة فصول من كتاب « كبرانجشت » فى دراسة مقارنة قام بها أنطون ذكرى ، أمين دار كتب المتحف المصرى بعنوان : قصة ملكة سبأ ، نقلا عن التوراة والانجيل والقرآن وكتاب « كبرنجشت » أى عظمة ملوك الاحباش ...

ومن تمام الفائدة ، ولفهم التوظيف اليهودى للعناصر الدينية فى اطار أسطورى من أجل تحقيق أغراض خاصة على مر العصور ، رأيت أن أسوق هنا نص الترجمة لهذه الفصول[1] ثم أتبعها بمناقشة بعض نقاطها ذات الاهمية والتى تتعلق بموضوع دراستنا حول أصل الفلاشا .

---

(١) أنطون ذكرى ، المرجع السابق ص ١٣ – ٥٢ .

الفصـــل الأول

تمارين التاجر[١]

كان رئيس تجار ملكة سبأ يدعى « تمارين » وكان رجلاً ذكيا غنيا يملك خمسمائة وعشرين جملا [٢] يحمل عليها تجارته إلى مختلف البقاع .

ولما أراد سليمان أن يبنى بيت الله المقدس ، أرسل إلى جميع التجار المقيمين فى الشرق والغرب والشمال والجنوب ، ليأتيه كل منهم بما لديه من لوازم البناء ، وما يحتاج اليه من مواد الزخرفة ، على أن يدفع لهم الثمن مضاعفا . وكان تمارين هذا قد اشتهر صيته وذاع خبره ، حتى وصل إلى مسامع سليمان ، فعلم أنه قدير على أن يأتيه بكل ما يشتهى ، ويحمل اليه كل مايريد ، من أنواع الذهب الأصفر والأخشاب الثمينة والمرمر وغيرها . فأرسل اليه رسولا يدعوه للحضور إليه والمثول بين يديه ، حاملا كل ما يستطيع حمله من بضائع بلاده وصادرات مملكته .

فلما بلغ الرسول أمر مولاه سليمان إلى تمارين الغنى ورئيس تجار مملكة الحبشة ، سرعان ما أجاب النداء ولبى الدعوة ، وأخذ فى تجهيز تجارته ، وحمل كل ما لديه من لوازم البناء والزخرفة ، وجدّ فى السير إلى سليمان الحكيم .

---

(١) معناه غابة النخيل ، ويقول بعض العلماء تمارين هو الهدهد المذكور فى سورة النمل

(٢) ومن المعلوم أن الجمل كان فى ذلك العصر نادراً فى أثيوبيا ويمكن أن نفترض أن هذه الجمال كانت تنتظر السفن على الشاطىء الغربى .

تمارين التاجر فى ضيافة الملك سليمان

حمل تمارين كل ما أمكنه حمله من الذهب الأصفر والأخشاب الثمينة والمرمر والبضائع النفيسة ، وسار بابله ودوابه تحمل الأثقال وتحفظها صناديد الرجال ، حتى وصل إلى الملك سليمان ، فاخذه منه وتقبله بكل سرور ، وقابله باضعاف ثمنه حسب وعده .

وسر هذا التاجر من الملك سروراً عظيما ، فأقام فى جواره مدة طويلة ، كان فى خلالها يتلقى علم سليمان ويتلقن حكمته، وطالما أعجب مما آتاه الله من علم وحكمة ، وطرب لسماع صوته العادل عندما كان يذهب إلى ساحة العمل ومكان البناء ، وكثيراً ما كانت تأخذه الدهشة من شريعة سليمان وقوانينه العادلة ، ومن حب سليمان لقومه وخضوعهم له ، وإذعانهم لأوامره وتلبيتهم نداته ، حيثما كان يأمرهم بأمر قانونى أو شريعة سماوية كانت تسود بيته الحكمة ، وخوف الله ، ينطق بالمثل الأعلى ، عذب الصوت ، بليغ المنطق ، جميل الطلعة ، وضاح الجبين ، يفوق جميع الخلق جمالا ، كل شئ فيه حسن ، فلا غرو إن أعجب به ذلك التاجر الحبشى .

تمارين التاجر يستأذن فى الرجوع إلى وطنه

أقام تمارين التاجرَ بجوار الملك سليمان زمنا طويلا ، فتضلع من العلم ، وتزود بالحكمة ، وتثقف الثقافة الدينية ، وتأكد من حقيقة ما يعبده سليمان وقومه ورأى بطلان ما عليه هو وسيدته وأبناء وطنه . وكان يود أن يقضى حياته فى جوار سليمان ، ويقف نفسه على خدمته ،

ولولا أنه غير طليق ، فهو رئيس تجار الملكة ماكدا ، وأمين ملكها ، وبيده مفاتيح خزائنها وكاتم أسرارها .

فكر تمارين في الرجوع إلى الوطن والعودة لخدمة سيدته ، والقيام بما تتطلبه شؤن الدولة، وواجبات الرعية ، نذهب الى سليمان يستأذن فى العودة ، ويطلب منه السماح بالسفر ، فحياه بالانحناء وقال :

« سلام عليكم ياصاحب الجلالة ، أرجو أن تسمحوا لى بالذهاب إلى سيدتى ، والرجوع إلى وطنى ، فقد أقمت فى كنفكم ، وتحت رعايتكم ردحاً طويلا ، شاهدت فيه عظمتكم ، وسمعت كلمتكم ، وتعلمت حكمتكم ، وغمرتنى نعمتكم التى أسبغتموها علىّ صباح مساء ، ليل نهار . وقد كنت أفضل البقاء فى حماكم ، وأود أن أكون أحد خدامكم ، لأنى أرى السعادة بالمقام فى رعيتكم ، والاذعان لأوامركم ، وسماع كلماتكم ، لولا شدة احتياج مولاتى الملكة ماكدا إلىّ ، لأن أموالها بيدى وخزائنها بعهدتى ، وأنا خادمها الأمين » .

سمع الملك كلامه فأجاب ملتمسه ، وحقق رغبته ، وأجزل له العطاء ، وأرسل معه الهدايا والتحف النفيسة لسيدته ، فأحنى الحبشى رأسه تحية للملك وودعه بسلام متوجها إلى بلاده .

تمارين التاجر بين يدى سيدته ماكدا يقص عليها أخبار سليمان

خرج ذلك التاجر الحبشى من بين يدى الملك يحمل أنفس الهدايا ، يشكر سليمان ويثنى عليه ، ولبث ماشاء الله يقطع الفيافى والقفار ، والسهول والجبال والمدن والقرى ، حتى وصل إلى وطنه . فدخل على سيدته وربة نعمته ، وقدم لها هدايا سليمان ، وروى لها كيفية وصوله

إلى أورشليم ، وقص عليها كل مارآه وسمعه من سليمان ، وحدثها عن حكمته وعلمه ، ونزاهته وطهارته ، و حبه للعدل ولين جانبه ورفقه برعيته .

المكلة ماكدا تعشق سليمان فتتهيأ للذهاب إليه

أطنب تمارين التاجر فى مدح سليمان ، وما كادت الملكة ماكدا تسمع هذا الثناء ، حتى وقع من قلبها موقعا له أثره ، فارتسمت صورته فى مخيلتها ، وتعلقت روحها به ، وعشقته على السماع ، وأشتد بها الشوق حتى استحال ولها وهياما ، فلم تستطع على بعد سليمان صبراً

دعت كبير تجارها وأمرته أن يعيد على مسامعها حديث سليمان(١) فازدات لوعتها ، وكاد الوجد يضنيها ، فعزمت على الذهاب إليه ، وأصدرت الأوامر إلى قوادها وجنودها وخدمها بالاستعداد للسفر إلى أورشليم ، وجهزت مايلزمها فى أثناء الطريق ، وحملت الهدايا ، وجعلت على المملكة نائبا عنها ، أوصته بالعدل فى الرعية ، والحيطة والحذر

ثم تحرك ركاب الملكة مأكدا قاصداً اورشاليم

الفصـــل الثانى

الملكة ماكدا مع الملك سليمان

وصلت ماكدا إلى أورشليم ، فدخلت على سليمان ، وقدمت اليه الهدايا فتقبلها منها عن طيب خاطر ، وقابلها بكل ترحيب وتكريم .

حفاوة سليمان وإكرامه لما كدا

أعد سليمان قصراً بالقرب من قصره ، وخصص لها كل صباح ومساء من الدقيق خمسة أكياس ، ومن الخبز خمسمائة وخمسين رغيفا ، ومن السمن والعسل والكعك مايكفى لسد حاجتها، ومن اللحم خمس أبقار وخمسين عجلا وخمسين خروفا ، ومن الغزلان والطيور والدجاج مالا يقع تحت حصر ٠ وعين لها عشرين مكيالا من العسل والزيت ، وتسعين إناء من النبيذ الجيد، وبعث اليها بأوان للطعام كالتى كانت تستعمل على مائدته ، وكان يخلع كل يوم على خمسة عشر رجلا من رجالها .

ملك أورشليم والملكة ماكدا يتزاوران كل يوم

كان سليمان يذهب إلى قصر ماكدا كل يوم ، وكانت هى أيضا تبادله زياراته ، وتتلقى عنه الغلم ، وتتلقن منه الحكمة ، وتشاهد جماله ، وتسمع صوته الساحر ، ونغماته المشجية ٠

الملكة ماكدا تفضى إلى سليمان بأعجابها به

قالت ماكدا لسليمان : « أنت أسعد الناس ياسيدى ، لانك تنطق بالحكمة وتحكم بالعدل ، وتسير على الهدى والعلم ٠ وإنى أود أن أكون إحدى جواريك أغسل عن قدميك ، وأسمع كلمتك ، وأخضع لأوامرك، فان السعادة أراها بالقرب منك ، ولاأستطيع البعد عنك »٠

فأجاب سليمان « إنما تعلمت العلم لهناءتك ، وتزودت بالحكمة لسعادتك وكل هذا هبة من الله وهبنيها حينما سألته ذلك ، وبما أنك

جئت راغبة فى زيارتى طالبة أن تكونى أمة الله المتواضعة، راغبة فى أله إسرائيل ، فسأريك الآن أنى أقيم خيمة تابوت العهد ، عهد الله الذى هو صهيون المقدسة السماوية ، وسوف أقف أمام الله خادما له ، فهو الذى صورنى بحكمته ، وأنشأنى بقدرته ، لست مخلوقا بذاتى ، ولا مستقلا بارادتى ، ناصيتى فى قبضته ، وحولى وقوتى تحت قدرته ومشيئته ، علمنى الحكمة ، وخلقنى من تراب ، وصورنى كماشاء ، به أحيا واليه المرجع والمآب

تواضع سليمان

بينما كان سليمان وماكدا يتجاذبان أطراف الحديث ، إذا بخادم يمر بهما حاملا فوق رأسه خشبا ، وعلى كتفيه ماء وتبنا ، حذاؤه معلق فى وسطه ، وجسمه يقطر عرقا · فأشار إليه سليمان بالوقوف ، والتفت الى الملكة وقال : « أى فرق بينى وبين هذا العامل ؟ هل أفضله فى شىء ؟ كلا ! فكلنا من تراب وعما قريب إلى التراب نعود ، تجمعنا القبور ، وتأكلنا الديدان ، أوليس الله بقادر على أن يضع عظمتى فى هذا المسكين ، ويجعلنى فى منزلته ؟ فكلنا من بنى الانسان · وإنه ليمتاز عنى بقدرته على تحمل المشاق · وإن الله جل وعلا يعين الضعيف ليتعظ القوى» ·

أمر سليمان العامل بالانصراف ، وعاد إلى الملكة وقال : « مافائدة المرء فى دنياه إن لم يعمل عملا صالحا ينفعه فى آخرته · نحن نلبس أفخر الثياب ، ونأكل أشهى الطعام ، ونحتسى الشراب ، ونتطيب بأزكى الروائح ، ونلهو ونلعب ، ونفرح ونمرح ، ولكنا أموات بالخطيئة »

« فتباً لمن ارتكب الآثام ، واقترف الذنوب ، فهو حى كميت وطوبى لمن تاب إلى الله وخاف نقمته وخشى عقابه »

ملكة سبأ ترغب عن عبادة الشمس وتعبد إله إسرائيل

ولما سمعت ماكدا كلام سليمان قالت : « كم أفرح لكلامك ، وأسر من منطقك ، علمنى عبادة الله الحى ، فانا نعبد الشمس ، ورثنا عبادتها عن آبائنا ٠ وجيراننا قوم يعبدون الأوثان والأصنام٠ ولقد أنبئت أن الله أنزل لكم تابوت العهد من السماء ، وأرسل لكم لوحات الوصايا مع موسى النبى » ٠

فقال سليمان : « الحق أقول إن الله الذى أعبده ، هو الذى خلق العالم وسواه ، وخلق الملائكة والجن والانس ، والسموات والأرض، والجبال والبحار والقمر والنجوم والكواكب ، وهو وحده خليق بالعبادة هو الذى يعطى ويمنع ، ويشقى ويسعد ، ويثيب ويعاقب، ويحيى ويميت ، قلوب العباد فى قبضته ، ونواصى المخلوقات فى يده ٠ يذل الجبارين ، ويعز المتواضعين ، هو الذى أعطى شعب إسرائيل تابوت العهد ، وكلم نبيه موسى بالوادى المقدس، وأنزل عليه لوحات وصاياه ، ومنها عرفنا عدله ، وتعلمنا إرادته » ٠

عند ذلك قالت ماكدا : « لن أعود بعد الآن أعبد الشمس ، وسوف أعبد خالق الشمس ، إله إسرائيل ، وليكن تابوت عهده شفيعا لى ولذريتى ولشعبى وسأجد فيك عونا ، وفى إله إسرائيل رحمة ، فهو الذى خلقنى وجاء بى إليك ، وقدرلى أن أرى وجهك ، وأسمع صوتك ، ثم استأذنته وعادت إلى قصرها .

الملكة تطلب العودة إلى بلادها

أقامت ماكدا فى أورشليم ستة أشهر ، ثم حنت إلى الوطن فأرسلت إلى سليمان رسولا ينبئه برغبتها ، ويرجوه تحقيق بغيتها ، وأوصته أن يبلغ الملك هذه العبارة : « قدكنت أرغب فى الأقامة بديارك ، والعيش بجوارك ، غير أنه لزام على أن أعود إلى مملكتى ٠ وليجعل الله لكل ما تعلمته منك أثرا صالحا ، وثمرة ناضجة لى ولأبناء شعبى» ٠

فلما سمع سليمان من الرسول هذا الكلام ، قال فى نفسه « إن هذه الملكة على جانب كبير من الجمال ، وذات فتنة ودلا ل ، ومن يعلم فعسى أن يكون لى منها ولد » ثم أجابها :

« أيتها الملكة ! لقد تحملت المشاق حتى جئت إلى هذه البلاد فيجدر بك ألا تعودى إلى وطنك إلا بعد أن تنظرى عظمة مملكتى وتتنزهى فى جناتها وتتمتعى برؤية دورها وقصورها ، وتشاهدى عظماء أورشليم وقوادها وجنودها » ٠

سمعت الملكة ذلك فأرسلت إليه مع رسول آخر تقول : « أيها الملك ! كنت جاهلة فتعلمت الحكمة والعلم منك ، وكنت ضالة فاهتديت بفضلك ، وصرت مختارة إله إسرائيل ، وان دعوتك هذه لتزيدنى شرفا ، وسأحضر إليك تلبية لطلبك »

سر سليمان كثيراً حينما سمع هذا الجواب ، فأخذ يعد العدة فجمع عظماء مملكته ، وأقام حفلا عظيما اكراماً لملكة سبأ ، التى مالبثت أن حضرت وجلست خلف سليمان ، وسرعان ما رأت ما

أدهشها ، وسمعت ماأطربها .

ماكدا تبيت في قصر سليمان

أعد سليمان فى قصره للملكة ماكدا غرفة بديعة ، زينها بأجمل الأثاث وأثمن الرياش ، وأقام لها عرشا من حرير ، مرصعا بالذهب والفضة ، مكللا بالجواهر معطراً بأطيب الروائح ، رجهز لها بتلك الغرفة مائدة بديعة تحوى أشهى الطعام وألذه مما يظمأ بتناوله المرء.

دخل سليمان على ماكدا فى غرفتها هذه وقال لها : « أتمنى أن تقضى ليلتك هنا أكراما لى » فقالت « وتقسم لى بربك إله إسرائيل ألا تمس عفافى وتغتصب شرفى ٠ فأنى إن خالفت شريعة قومى صرت فريسة للأحزان ووخز الضمير فأجابها سليمان : « هذا طلب من السهل تلبيته إذا حلفت ألا تمس شيئا مما فى قصرى» فقالت ماكدا : « أيها الملك ماعهدتك إلا حكيما ، وماعرفتك إلا عالماً فكيف تنطق بهذا الكلام ؟ هل سبق لى أن اختلست شيئا مما فى قصرك ؟ أم ظننت أنه راقنى شيء من متاعك وأموالك ؟ إننى ما جئت إليك حبا فى مالك أوطمعا فى كنوزك ، وإنما جئت لطلب العلم والحكمة » فأجاب سليمان :« يمين بيمين وقسم بقسمم ٠ بما أنك طلبت منى اليمين » ٠ ولم تلبث ماكدا أن أذعنت لطلب سليمان فاقسم كل منهما اليمن وتركها سليمان فى غرفتها وانصرف .

سليمان يتزوج من ماكدا

تظاهر سليمان بأنه غارق فى سبات عميق ، ونامت ماكدا ، ولكن سرعان ما أقلقها الظمأ وايقظتها شدة العطش ، وكان سليمان قد أسر إلى خادم من خدمه بأن يضع بغرفتها قدحا من الماء .

نزلت الملكة من سريرها ومشت بضع خطوات ، ورفعت قدح الماء إلى شفتيها ، وسرعان مافاجأها سليمان وقال « لم تخالفين قسمك ، وتحنثين فى يمينك ؟»

فقالت : « وهل فى الشرب من القدح مخالفة للقسم ؟ » · فقال: « قد أقسمت ألا تمسى شيئاً فى قصرى ، وقلت إنك لم تأت إلى هنا طمعا فيما هو غال أوثمين ، وهل هناك أثمن من الماء » فقالت : « قد أخطأت وأرجو أن تسمح لى بالشرب وأن تراعى عهدك ، وتفى بوعدك » فأجاب : وأنت لم لاتعفيننى من قسمى الذى أقسمته لك ؟ فمالت عليه مسترحمة إياه ملتمسة جرعة من الماء تطفىء بها ظمأها وقالت :« أنت فى حل من قسمك إذا سمحت لى بشرب الماء » شربت الماء وروت ظمأها ، ورأت أنها مدينة لسليمان بما طلب ، فخضعت لأمره ، ونزلت على إرادته ، فاضطجعت وسليمان فى سرير واحد ، وماهى إلا سويعات قصيرة حتى استولى عليهما سلطان الكرى ، فنام سليمان نومه هادئة ، رأى فيها شمسا مضيئة تدلت من السماء ناشرة أشعتها على إسرائيل ، واستمر ضوؤها مدة طويلة انتقلت بعدها تلك الشمس إلى أرض الحبشة · وهناك سطعت أنوارها ، وانبثق ضوءها ، حتى أضاء جميع الفيافى والقفار ، والسهول والجبال ، ومكث ذلك الضوء فى أرض الحبشة أجيالا ، كان سليمان فيها على مضض الانتظار ، لعودة هذا الكوكب إلى بلاده ، ولكنه لم يعد · وبينما هو يتقلب على جمر الانتظار ، ويعانى ألم غياب هذا الكوكب ، إذ أنزل الله كوكبا أكبر من الأول ، وأشد ضوءاً وحرارة منه ، فأضاء هذا الكوكب يهوذا وبلاد إسرائيل ، وغمر ضوءه وحرارته كل البلاد ، وظل كذلك زمنا طويلا ، تألم الاسرائيلون فيه من حرارته ، وسخطوا عليه سخطا عظيما ، وهموا ا عليه بالعصى

والاسلحة ، وحاولوا إطفاء نوره ، واخماد حرارته ؛ فتناولوه ودفنوه فى قبرمدة من الزمن ، اهتزت الأرض فيها لعملهم هذا ، وساد الظلام أرجاء المملكة ، وخيم الغيم على جميع العالم ، وظن رجال إسرائيل أن هذا الكوكب لا يبعث من قبره ، ولا يعود يظهر بأشعته وضوئه ، ولكنه أخلف ظنهم ، فقام من قبره ، وأضاء البر والبحر وجبال أثيوبيا ومملكة روما ، وغادر أورشليم حتى صعد إلى عرشه القديم · وفى نهاية ذلك رأى سليمان فلكا برق برقا خاطفا ، فذعر منه وانزعج ، ثم تنبه من نومه وهو يرتعد ·

ولما علم سليمان أن هذه رؤيا منام ، حمد الله وأثنى عليه ، وعلم أنه سيكون لهذه الرؤيا سر عجيب ، وعجب إذ ذاك من ثبات الملكة ماكدا وشجاعتها ، وكيف أنها حكمت بلادها ، وساست رعيتها زمنا طويلا كانت فيه مثال الجمال والطهارة ، محافظة على شرفها وعفافها وعذارتها .

الملكة تستأذن وتعود إلى بلادها

استأذنت ماكدا من سليمان وطلبت منه أن يسمح لها بالعودة الى أرض الوطن فدخل الملك قصره ، وفتح خزائنه ، وأعطاها الهدايا الثمينة ، والأموال الكثيرة ، والملابس الفاخرة ، وأعد لها ستة آلاف مركب محملة من الاشياء الثمينة ، بعضها يسير على الرمال والآخر يطير فى الهواء .

سليمان يهدى الملكة خاتمه

رافقها سليمان بكل مظاهر العظمة والاجلال ولما سارا قليلا خلا بها وقدم لها خاتما كان فى أصبعه وقال لها « خذى هذا الخاتم واحفظيه علامة لحبنا ، وتذكاراً لما حصل بيننا · وعندما تضعين حملك منى ، البسيه هذا الخاتم وأرسليه إلى إن كان ذكراً ·

سيرى الى بلادك ، ولتكن رعاية الرب معك » . ثم قص عليها فى تلك الخلوة مارآه فى نومه وقال : « لما كنت نائما معك رأيت كأن الشمس التى تضى إسرائيل قد غابت عنه ، وانتقلت الى بلاد الجبشة، وبقيت هناك تسطع بأشعتها وتضىء بنورها ، فليت شعرى من يعلم أن بلادك مباركة بسببك ؟ وعلى كل حال احفظى ما أقوله لك ، فانه الحقيقة التى ستكون نتيجة لقائنا هذا ، أعبدى الله حق عبادته ، وأخلصى له بكل جوارحك ، واعملى بما أمر به ، وابتعدى عما نهى عنه : فانه يحفظ عباده الخاضعين ، ويعاقب الطغاة الجبارين ، ويذل المتكبرين ويبيد عروش الاقوياء ، هو القادر على كل شىء ، يحيى ويميت ، ويرفع ويخفض ويعز ويذل ، بيده ملكوت السموات والأرض ، كل كائن تحت سلطانه ، وإنى أستودعك الله فسيرى على بركته محفوظة بعنايته ، محاطة برعايته .

الملكة ماكدا تلد غلاما من سليمان وهى عائدة إلى بلادها

سافرت ماكدا مجدة فى سيرها ، تحوطها حاشيتها . ولما بلغت بلدة (لرباديسارية) بعد مضى تسعة أشهر وخمسة أيام من تاريخ قيامها من أوشليم ، وضعت غلاما كأنه البدر فأسامته لمرضعته ترضعه وتقوم بشئونه . وبعد أن قضت فى ذلك البلد أيام نفاسها ، استأنفت السير الى عاصمة ملكها ، فقدمت على وطنها بكل مظاهر العظمة والجلال والاحترام . وماكاد يطرق مسامع عظماء دولتها خبر قدومها حتى هرعوا اليها زرافات ووحدانا ، يقدمون اليها فروض التحية ، وواجب الولاء ، فألبستهم الملابس الفاخرة ، وأعطتهم من الذهب والفضة والهدايا التى جاءت بها من عند سليمان ، وجمعت الفقراء والمساكين ، وأغدقت عليهم الاموال والهدايا .

الفصل الثالث

ابن الحكيم بن سليمان

كبر ابنها من سليمان « ابن الحكيم » ولما بلغ الثانية عشرة من عمره، أدرك أنه مولود لام وأب ، ووجد أنه يعيش بين أحضان أمه ، ويراها فى كل لحظة وآونه ، ولكن أين أبوه ؟ ومن هو ؟ هذا مادار فى خلده ، وأشغل خاطره ، وبعث فيه هذه العاطفة الغريزية ، فسأل أقرانه وزملاءه، وخاصته وأساتذته من هو أبى ، فأجابوه ابوك سليمان ملك أورشليم ٠ عرف الغلام أسم أبيه ومكانه وعلم أنه فى مملكته فعاد الى أمه سائلا ما اسم أبى ؟ وأين هو ؟ ففزعت امه لهذا السؤال وخشيت أن يرحل الى ابيه إن هى اخبرته باسمه ، فتتألم لفراق فلذة كبدها ، وثمرة أحشائها ٠

فقالت له : لماذا تسألنى عن اسم ابيك ؟ لاتسألنى عنه الآن ، فتركها وصبر وتصبر وسلى نفسه ، وسرى عن فكره، فتألمت أمه وثار غضبها ، ولكنها لم تجد بدأ من اخباره عن أبيه وإطلاعه على مكنون السر وجلية الأمر ، فتشجعت يوما وقالت له: يابنى : ان بلد أبيك بعيد ، وطريقه صعب ، والوصول إليه عسير يلزمه النفقات الكثيرة ، وتحمل المشاق ٠ وكانت تريد بذلك أن يرجع عن رأيه ، ويقلع عن هذه الفكرة ، فيترك السؤال عن أبيه ويقيم عندها٠

ابن الحكيم يستأذن والدته فى السفر الى أبيه

ولما بلغ ابن الحكيم الثانية والعشرين من عمره وتعلم المبارزة وفنون القتال وركوب الخيل وصيد الوحوش قال لأمه « اسمحى لى

الآن أن أسافر الى أبى كى أرى وجهه ، وأحظى بالمثول بين يديه ، وأتمتع برؤية مملكته ، وسوف أعود اليك سالما باذن اله اسرائيل »

دعت الملكة تمارين ، وأمرته أن يعد العدة للسفر ، ويصحب ابنها الى مملكة أبيه سليمان · فامتثل تمارين أمرها ، وتجهز للرحيل ، وحمل معه الهدايا للملك سليمان ، وخطبت الملكة فى جنودها ورجالها وزودتهم بالحكم والنصائح ، واوصتهم بابنها خيراً ؛ وأن يعملوا على ان يكون ابنها ولى عهد أبيه ، وملكا من بعده بدلا من ابنته (١) وأمرتهم أن يقولوا لسليمان أن ولدك هذا سيجلس على عرش الحبشة هو وأحفاده ، وسيكون ملكا مدى الاجيال وعلى مر الايام ، ويجب نقش هذا العهد فى كتاب الانبياء من النحاس وتحفظه فى بيت الله الذى بنيته لعظمته ، ليكون باقيا له ولابنائه إلى الأيام الاخيرة كما يجب أن ينقش على هذا الكتاب أن الاحباش لم يعودوا إلى عبادة الشمس والقمر ، والسماء والجبال ، والاشجار والاحجار ، والبحيرات والتماثيل ، والذهب والفضة والحيوانات والطيور ، بل نحن نعبد إله اسرائيل ، وشريعته الآن شريعتنا وسوف تكون كذلك مدى الزمان وطول الاجيال ، ومن يخالف هذه الشريعة سيلقى العقاب الصارم ، ويجازى الجزاء الشديد ، وانا نرجوك ان تعطينا الملابس المقدسة التى تلبسونها لتابوت العهد ، واختلت الملكة بابنها واعطته الخاتم الذى أعطاه لها سليمان ليكون علامة الحمل ، وعنوان الاتحاد ودليل الوفاء بين المملكتين وبينهم الثلاثة ، ثم ودعت ولدها ، فسار الى أبيه محفوظا برعاية الله وعنايته .

---

(١) وان كان يجوز فى تواميس الحبشة ان تكون البنت ملكة بشرط ان تحافظ على عذارتها .

سفر ملك أثيوبيا إلى أورشليم

رحل ابن الحكيم يصحبه عظماء مملكته وجنوده وخدمه ، وسار يقطع السهول والفلوات حتى مدينة غزة التى أعطاها سليمان إلى الملكة عند زيارتها له ، فاستقبله أهالى تلك المدينة بكل حفاوة وترحيب ، وقدموا له فروض الولاء والطاعة ، وظن بعضهم أنه الملك سليمان ، لانه كان يشبه أباه تماما ، فسجدوا تحت أقدامه هاتفين : فليحى الملك فليحى ابن الملك . وكان القوم الذين يأتون من يهوذا يقولون أنهم تركوا سليمان فى أورشليم ، وأنه فرغ من بناء الهيكل وبدأ فى تشييد قصره ، بينما كان سكان غزة يتساءلون فيما بينهم : هذا سليمان ؟ فمن قائل أنه هو بعينه ومن قائل أنه ابنه . فاشتد النزاع واحتدم الخصام ودار العراك بين الاهلين .

ولحسم النزاع وفض الخصام اختاروا من بينهم وفدا اوفدوه إلى أورشليم ليتأكدوا من وجود سليمان فلما دخلت الجنود على سليمان فى قصر ملكه سجدوا له وأدوا فروض التحية وقالوا فليحى الملك ! لقد أوفدنا أشراف غزة ليتأكدوا من وجود جلالتكم على عرش ملككم ، لانه قدحضر الى بلدنا تاجر يشبه جلالتكم كل الشبه ، جميل الطلعة ، صبوح الوجه ، ذو عينين براقتين ، فيه صفات الملوك وله هيبة الحكام .

فسألهم سليان : « وإلى أين ذهب هذا التاجر » فأجابوه : «ليس لنا علم بذلك لاننا لم نجسر على سؤاله ، غير أنا سألنا رجالـه فقالوا : هو آت من الحبشة قاصداً الى أورشليم »

سليمان يوفد رئيس قواده لمقابلة « ابن الحكيم » ابنه

سمع سليمان هذا الكلام فحار فى أمره ، لانه لم يكن يشبهه إلا ولده الوحيد رحبعام ومالبث أن دعا كبير قواده « جوارين صودار» وأمره أن يتأهب للقاء ذلك القادم « ابن الحكيم » الذى لايعرفه ولا يعلم سبب قدومه ، فأطاع القائد أمر مولاه وتوجه ومعه الجنود والعربات ، وما لبث ان التقى بابن الحكيم على ابواب اورشليم فقابله بالترحيب ، وتلقاه بتبجيل واحترام وقال له : « ان قلب الملك يفيض بحبك ، ويخيل اليه انك ابنه او أحد إخوته ، وانه ينتظرك بفارغ الصبر ، فهيا بنا نجد فى السير » فقال الشاب : « سبحانك يارب العالمين ، وإله اسرائيل ، أحمدك واشكرك على ما أوليتنى من صنائع الكرم ، واعطيتنى من جليل النعم ، فان عطف مولاى الملك قد غمرنى قبل ان يرانى ، وانى واثق انك ستوفقنى لرؤية الملك وتحببنى اليه ، ومن ثمة اعود الى وطنى آمنا مطمئناً .

مناظرة بين ابن الحكيم وقائد جيش سليمان

سمع كبير قواد سليمان ذلك من الشاب فرد عليه بقوله : « ان ما اقدمه إليك من الحفاوة قليل بالنسبه لما ستلقاه من جلالة الملك ، ولسوف ترى منه ما ينشرح له صدرك ، وتقر به عينك ، ويجعلك تؤثر البقاء بجواره مدى الحياة ، ولن تقول امى ووطنى ، فأين سبأ من اورشليم المقدسة المباركة ذات الخيرات والجنات » فأجابه ابن الحكيم : « ان ارضنا احسن من ارضكم ، جوها جميل ، نسيمها عليل ، خيرها وفير ، ماؤها كثير ، بها انعام وطيور ، وتجارتنا عظيمة ، واموالنا جمة ، ولستم خيراً منا فى شىء سوى العلم والحكمه » فاجاب جوارين : « مااحسن الحكمة واعذب العلم ! فهو كل شىء فى الوجود ، وعليه مدار الحياة » ثم اردف ذلك بقوله : « دعونا من هذا وجدوا فى السير »

ولما اقترد، هذا الجدع من قصر الملك ، دخل عليه كبير قواده وقال : « ان مضيف ، على جانب عظيم من الجمال ، يتكلم بحكمه وينطق عن علم ، وهو يشبهك كل الشبه » فقال سليمان : « وأين هو ؟ أو لم ارسلك للاتيان به ؟ » فقال « جئت لأخبرك بوصوله وها هو قريب منا وسأتيك به »

وسرعان ما انتهى إلى ابن الحكيم وقال له :« هيا ياسيدى اسرع فى المسير فان مولاى ينتظرك » .

ولما بلغا ابواب قصر الملك ، دخل كبير القواد ليستأذن للضيف بالدخول ، ولمح الجمهور ابن الحكيم فظنوه سليمان نفسه خرج يطلب النزهة والرياضة . فانحنوا له تحية واحتراما . وكان الخارجون من قصر سليمان يتعجبون من رؤيته امامهم وقد تركوه بقصره ، وكانت تزداد دهشتهم عندما يلتفتون وراءهم فيشاهدونه على عرشه وينظرون امامهم فيرونه امام قصره .

تعارف سليمان الملك بابن الحكيم

وبينما الجمهور ورجال البلاط فى حيرة ، إذ صدر الأذن بدخول ابن الحكيم وحالما رآه سليمان هم إليه واقفا واحتضنه وقبله فى جبينه وبين عينيه . ثم ألبسه ثوبا مزركشا بالذهب ، وتوجه بتاج مرصع بالحجارة الكريمة ، وجعل فى اصبعه خاتما من ماس ، وأجلسه عن يمينه وقال لقواده : « هذا ابنى قد أعطانيه الله » فأجاب القواد : « لله دره ! ودر أبيه ! ودر أمه ! إذ أنجبت هذا الشاب الذى سيكون ملكا علينا وعلى ذريتنا » ثم قدموا له واجب الخضوع والولاء ، وبعد ذلك قدم ابن الحكيم خاتما لابيه سليمان وقال له :

« إليك هذا الخاتم وتذكر معاهدتك مع أمى ، وإنى أرجو أن ترده إلى » · فقال سليمان : « ولم لايكون هذا الخاتم عندى وأنت لست فى حاجة إليه ، وانت ابنى حقا » فقال تمارين رئيس تجار الملكة ماكدا : « لقد كلفتنى سيدتى الملكة أن أبلغ جلالتكم رجاءها فى أن تباركوا ابنها ، وتنتخبوه ملكا على بلادنا ، وتصدروا أمركم الكريم بالا يتولى عرش الحبشة امرأة بعد الآن ، وهى تأمل أن تعيدوا ابنها إليها ثانية ، فانها لم ترسله إلى أورشليم إلا بعد أن ألح فى الطلب ، وقد كنت أعارض فى ذلك ، وأرغب فى عدم تنفيذ رغبته إشفاقا عليه من طول الطريق وشدة الحر وقلة الماء ، وإنى أستحلفكم بصيهون المقدسة وبلوحة شريعة الله أن تسمحوا بعودته إلى أمه » فاجابه سليمان : « البنت لأمها والولد لأبيه · هذا ابنى سأجعله ملكا على إسرائيل »

مناظرة سليمان وأبن الحكيم

واعتاد سليمان أن يرسل إلى ابنه أشهى الأطعمة وأفخر الثياب وكان يقول له : « أقم معنا هنا بجوار بيت الله ، فان الله يرعانا » فأجابه ابنه : « اسمح لى يا أبتاه ! أن أقول لك إننى ما جئت الى هنا طمعاً فى الذهب والفضة ، أو رغبة فى الملابس الفاخرة والجواهر الثمينة · كلا ! فان بلادى لا ينقصها شى من هذا · وقد جئت فقط لأرى وجهك وأسمع حكمتك ، وأخضع لسلطانك ، والآن قدحصلت على ما كنت أبتغى ، ونلت ما كنت أتمنى ، فألتمس العودة إلى أمى ووطنى ، فان كل مولود ولوع بمسقط رأسه ، ومكان نشأته ، وملتقى أحبته ، وسماع لغة قومه ، وتغريد طيور وطنه ، وأن بلاد أمى ، وجبال الحبشة لهى

الفردوس فى ناظرى ، أما لوحات إله أسرائيل ، فانى أحترمها فى كل آن ، وأعبدها فى كل مكان ، وأنى لأود أن يقام لله هيكل فى بلادنا نقدم له القرابين ، ونعبد الله فيه ، إلا أنى أرجوك أن تعطينى الملابس الخاصة بلوحات شريعة الله · ولايخفى أن أمى قد قضت على عبادة الأوثان ، وأرغمت الشعب على عبادة تابوت العهد ، وحفظ وصايا إله إسرائيل وقد تعلمت كل هذا منك ، وعملت كل ما امرتها به · وانفرد سليمان بابنه ، وقال له « لم تريد أن تذهب لأمك ، وتعود إلى عبادة الأوثان ، وتعيش بعيداً عنى ، اى شيء ينقصك فى بلادى ، ومن ذا الذى يحرضك على الرجوع إلى بلادك ويرغبك عن البقاء هنا ! » · فأجابه ابنه : « قلت ان أمى تركت عبادة الأوثان ، وحطمت الاصنام ، و أرغمت رجال رعيتها وأفراد مملكتها على عبادة الله الحى القوى »

وبذل سليمان ما استطاع من جهد فى اقناع ابنه وحمله على الاقامة معه ولكن من غير جدوى · وقال له ابنه : « إنى آسف لعدم استطاعتى الاقامة معك ، ولا يمكننى أن أخلف وعدى مع أمى ، وأحنث فى قسم أقسمته لها · وعندك رحبعام ولدك من زوجك الشرعية ، وهو أحق بالملك منى ، إذ ولد فى مملكتك ، وبين عظماء دولتك » فعجب الملك لذلك ، وأدرك سر امتناع ابن الحكيم من الاقامة معه ، وعرف أن هذا هو السبب فى كراهيه الولد لبلاد أبيه ، وشغفه بالعودة إلى بلاده ، فرد عليه سليمان متعجبا مستنكراً « ماذا تقول ، ألست أنا أبن دواد حسب الناموس ؟ فاصغ يابنى لكلام أبيك ، وأعلم أن هذا البلد أوفق لمقامك من بلادك ، وإن ابنى رحبعام فى سن حديثه لا تخول له

تولى الملك ، إذ يبلغ من العمر سبعة أعوام ، أما أنت فابنى الاكبر وسنك الآن تسمح لك بأن تتولى الملك ، فان أمك قدجاءت أورشليم فى السنة السابعة من حكمى ، وإن لى فى الحكم الآن تسعاً وعشرين عاما ، وقد بلغت سن أبى ، وعما قريب سألحق به إن شاء الله إلى الدار الأبدية ، وتجلس أنت على عرشى وتحكم بلادى ، فيمجدك عظماء مملكتى ، ويباركك إله أسرائيل ، فابق هنا يابنى حتى أزوجك ، وأخصص لك من الملكات والسرارى كما تحب وتختار ، وسوف تكون مباركا فى هذه الارض التى من الله علينا بها ، وإنى لفى حاجة إلى الراحة ، وكم أود أن أتوجك ملكا على عرش أورشليم » .

كل هذا وابن الحكيم راغب فى الرجوع إلى وطنه ، ومشتاق إلى العودة لأمه ، غير قانع بشىء مما قاله أبوه ، واختتم حديثه بقوله : « قلت ياأبى إنى جئت فقط لأرى وجهك واسمع حكمتك من علمك ، ولم أجيء لشىء سوى ذلك »

مسح ابن الحكيم ملكا على الحبشة

ولما سمع سليمان كلام ابنه علم ما أكنه صدره ، ورأى شدة حنينه إلى وطنه ، فدخل قصره وجمع وزراءه ومستشاريه وأنبأهم بضرورة عودة ابنه إلى بلاده ، وأخبرهم أنه لم يقبل أن يجلس على عرش أورشليم ، وأبان لهم رغبته فى تتويجه ملكا على عرش الحبشة ، ليكون لاسرائيل عرشان ولأبنائه مملكتان . وما أسرع ماجاءوا بزيت خاص وأدخلوا ابن الحكيم قدس الأقداس ، ثم مسحه (صداخ) كبير الكهنة ملكا على عرش الحبشة

، وسماه دواد حسب تعاليم ناموس العرش ، وطافوا حول المدينة فرحين مسرورين مرددين قولهم « سلام عليكم أيها الملك العظيم ، فليمتد ملكك إلى مصر وبلاد الارض بأجمعها »

ولما انتهوا من الطواف حول المدينة ، باركه أبوه وقال له : « فلتكن عناية الله معك ، وليباركك إله إسرائيل » فأمن الجميع ، ثم طلب سليمان من كبير الكهنة أن يعظ أبنه ، ويعلمه العدل وشريعة الله ، ليحفظها ويسير بمقتضاها فى بلاده ·

فخاطب صداخ ابن الحكيم وقال له : « سر يابنى على شريعة الله واسلك · السبيل القويم ، واعمل بما أمر ، وابتعد عما نهى ، فان فى ذلك السعادة كل السعادة »

وفرح أهالى أورشليم بتولية ابن الحكيم ملكا على الحبشة ، ولكن فرحهم مالبث أن تلاشى حينما فاجأهم سليمان بقراره الذى يقضى بارسال أبنائهم الأبكار صحبة ولده إلى أثيوبيا ليكونوا حاشيته ، ورجال دولته وقواده ووزراءه ومستشاريه ، وليجلسوا عن يمينه وعن يساره ·

وأعد ابن الحكيم العدة للرحيل يصحبه أبناء إسرائيل ، وقد أهداهم سليمان الهدايا الثمينة ، وزودهم بالحكم والنصائح الغالية ، وأعد لهم الخيل والحميرو البغال والبقر والعجول ، ونثر عليهم الذهب والفضة ، وأتحفهم بالماس والجواهر والأحجار الكريمة .

الفصل الرابع
سفر ابن الحكيم إلى الحبشة
وجلوسه ملكا عليها

حان وقت الرحيل ، فودع سليمان ابنه ، كماودع بنو إسرائيل أبناءهم ، وكان سرور الأحباش لذلك عظيما ، أما الاسرائيلون فقد حزنوا لفراق أولادهم وأخذوا فى البكاء والنحيب ·

ولعل حديث سرقة تابوت العهد من أعجب الأحاديث التى يلذ للقارئ الاطلاع عليها ، فقد حدث فى الليلة السابقة ليوم الرحيل أن اجتمع شبان بنى إسرائيل الموفدون إلى الحبشة ، وعلى رأسهم ابن رئيس كهنتهم الذى أسر إليهم قائلا :

«اقسموا معى ألا تذيعوا سر ما سأقول ، لانه قدخطرت ببالى فكرة نعمل بها عملا مباركا ، نسعد به طول حياتنا وينعم به أبنا ؤنا من بعدنا » فأجابوه « هات ماعندك فانا لقولك سامعون ، ولسرك حافظون » فأشار عليهم بنقل تابوت العهد إلى الحبشة .

ابناء إسرائيل يفكرون فى حمل تابوت العهد إلى أثيوبيا(١)

وتعاهد أبناء إسرائيل على حمل تابوت العهد إلى الحبشة ،

---

(١) إن ابن الحكيم برىء من سرقة تابوت العهد ، فقد قيل إن شِشنق ملك مصر هو الذى سبا الهيكل ، ومدينة أورشليم فى عهد رحبعام ، وقيل إن نبو خذ نصر سباهما مرتين ، هذا إلى أنه لايوجد عند الاحباش هياكل أو كتب مقدسة منقولة عن اليهود .

لكنهم سألوا ابن رئيس الكهنة : « كيف الوصول إليه وهو فى قدس الاقداس ، والطريق إليه عسير ، والحصول عليه ليس بالأمر اليسير » فأجابهم « إن لى الحق فى دخول قدس الأقداس بصفتى ابن رئيس الكهنة » ولما أرخى الليل سدوله ، دخل هذا قدس الاقداس ، وحمل تابوت العهد ، وانتهى به إلى رفاقه ، وسرعان ماوضعوه على عربة وأخفوه تحت غطاء.

أهالى أورشليم يلهيهم الحزن عن تابوت العهد

لم يشعر أحد من سكان أورشليم بسرقة تابوت العهد ، لأن الحزن ألهاهم عن ذلك ، ولأنهم شغلوا بالبكاء على فراق أبنائهم – كما حدث للمصريين عندما أمر الله بقتل أبنائهم الأبكار – وأما سليمان نفسه فقد تأثر لفراق ابنه وأخذ يقول : « الويل كل الويل لى ، لقد زال مجدى وسقط تاجى ، وتفتت كبدى ، حينما سافر ولدى ، وأخذ معه عظمة بلادى وأبناء قومى ، سلبت عظمتنا ، واغتصب مجدنا شعب لايعرف الله . « إن الذين يبحثون عنى لن يجدونى » وقد تعلم هذا الشعب الشريعة والعلم والحكمة ، وقد قال عنهم أبى دواد فى نبوته : « إن الأحباش يعبدون الله ، وإن أعداءهم يأكلون النار » وقال فيهم ثانية : « إن أثيوبيا لاتمد يدها إلا إلى الله ، والله يحميها بمجده ، ويحفظها بقدرته ، وجميع ممالك الأرض تعظم الرب ، وتعبد الاله الحى »

وكان سليمان قد أمر كبير الكهنة قبيل الرحيل أن يذهب إلى قدس الأقداس ، ويرفع الستار الذهبى الذى يزينه ، ويضع

مكانه ستاراً كان قد أعطاه إياه ، وأوصاه أن يسلم الستار الذهبى لابنه قائلا « ان أمه أوصتنى بارسال ثياب صهيون ليعبدها الشعب الأثيوبى ، وليمجدها جميع أهالى الحبش » فامتثل الكاهن أمر مولاه ٠

سليمان يقص رؤياه على رئيس الكهنة

ودع كبير الكهنة « زديك خان » الاثيوبيين ورجع إلى الملك سليمان فرآه حزينا كئيبا فسأله « أيها الملك ما الذى أحزنك ، وماذا كدر صفوك ؟ » فقال « حينما كنت نائما مع الملكة مأكدا ، أخذتنى سنة من النوم ، فوجدت نفسى محلقا فى سماء أورشليم ، ورأيت شمسا آتية من السماء مرسلة أشعتها على بلاد يهوذا ولم تلبث هذه الشمس أن غابت فسطعت أنوارها فى أثيوبيا ، ثم رأيت شمسا ثانية أكثر من الأولى ضوءاً ، وأشد منها حرارة ، اشرقت فى بلادنا ، وعم ضوؤها وحرارتها انحاء مملكتنا ، ولكن شعب اسرائيل لم يستطع مواجهة ضوئها ، ولاتحمل حرها ، فأخذ يعمل على إطفاء حرارتها وتخفيف ضوئها ٠ فتحولت عن هذه البلاد ، وسارت إلى بلاد لم تكن تحلم بها ، حيث سطعت أنوارها فى أثيوبيا وروما وسواهما »

سليمان يكشف سرقة تابوت العهد

ولما سمع كبير الكهنة رؤيا الملك اغتم لذلك وقال له يامولاى لم لم تقص على هذه الرؤيا قبل الآن ، فانها تدل على ان الاثيوبيين يأخذون منا صهيون تابوت العهد والواح الوصايا ٠ فويل لنا إن كانوا حملوها معهم فقال له الملك : « اذهب إلى

قدس الاقداس وانظر تابوت العهد » ولما وصل رئيس الكهنة إلى الهيكل لم يجد تابوت العهد ، فذعر وانزعج وخر مغشيا عليه

ولما أبطأ رئيس الكهنة فى الرجوع ، أرسل الملك ابنه فى طلبه ، فاصابه ما أصاب أباه ، إذ أنه كشف عن الهيكل ، فلم يجد تابوت العهد فوقع صريعا بجوار أبيه ، وصرخ صرخة سمعها سليمان فى قصره .

علم سليمان حقيقة الأمر ، ووقع ما كان يحذره ، فأقام حداداً فى أرجاء المملكة وأصدر الأوامر إلى أمرائه وقواده وجنوده باللحاق بالاثيوبيين والاتيان بهم ومعهم تابوت العهد وأخذ يقول : «يا إله إسرائيل ، قد سرقوا بيتك ، وذهبوا به إلى بلاد لاتعرفك ، وسلبوا تابوت العهد فى أيام حكمى ، وقد كنت أوثر أخذ روحى ولا أسمح بأخذه منى · وقد وعدت به آبائى ، نوح الذى حفظ العدل ، وإبراهيم الذى عمل بوصاياك ، وإسحاق الطاهر ، ويعقوب قديسك ، وموسى وهارون اللذان رأيا تابوت العهد نازلا من السماء إلى الارض ليرثه أبناء يعقوب ، وإلى الآن كان فى أيدينا وبين ظهرانينا هذا التابوت. فيارب لاتنظر إلى آثامنا ، ولاتعاملنا بخطايانا ولا تؤاخذنا بتقصيرنا · وقد شرع أبى دواد فى بناء هيكلك ، وعلمته أن ابنه هو الذى يبنيه ويتمه ، وها أنا قد بنيته ، ووضعت فيه تابوت العهد ، وذبحت الذبائح ، وقربت القرابين ، ولم يمض على ذلك ثلاث سنوات حتى أخذ التابوت منا ، وأخذ إلى بلاد قاصية لم تعبدك من قبل ، ولم تعرف اسمك إلى الآن فتباً لى وهلاكاً ، سأبكى عليه مدة حياتى ، قم ياأبى وابك معى تابوت

العهد ، فقد نبذنا الرب وأبعدنا ، لانا خالفنا وصاياه ، ولم تؤد الكهنة واجباتها ، ولم نعط الفقراء حقوقهم ، سنكون غنيمة لاعدائنا ، وفريسة لمن حولنا ، أبكوا معى أيها الشيوخ والأرامل ، وابكين أيتها العذارى ، فانا قد فقدنا وطننا مدى الدهر ، قد تنبأ لنا الانبياء ولكن لم نفطن لنبواتهم .

سليمان يأمر برفع الحداد

وبينما سليمان يبكى إذ نزلت عليه روح الأنبياء وقالت له « لماذا تبكى وقد تم كل شىء بأمر الله ، ولم يعط تابوت العهد لاجنبى بلى أعطى لابنك ووارثك »

وكذلك قال له كبار شعب إسرائيل : « لا تيأس ولاتحزن ، فان كل شىء بقضاء الله وقدرته ، وإنا مؤمنون بأن صهيون ستكون حيث يريد الله تعالى ، وقد سبق أن أخذ الفلسطينيون تابوت العهد فى أيام إيليا النبى ، ثم عاد إلينا بقوة الله وإرادته . والآن قد ذهب تابوت العهد إلى أثيوبيا ، فان شاء الله أن يعود إلينا عاد ، وإلا بقى حيث أراد » .

فأجابهم سليمان « إذاً يجب أن نزيل الحداد ، ونرضى بقضاء الله »

وصول ابن الحكيم الى بلاد الحبشة

وصل ابن الحكيم الى بلاد الحبشة ، مقر مملكته ، ووطن أمه فأرسل إليها يخبرها بقدومه ويبشرها بالحصول على تابوت العهد ، صهيون السماء . فما سمعت الملكة ذلك النبأ حتى أمرت من فورها برفع الاعلام واقامة الزينات ، واصدرت أوامرها

الى رجال مملكتها لكى يخفوا لاستقبال ابنها بكل تكريم وترحيب ، وان يتلقوا تابوت العهد ، صهيون السماوية ، ولوحة إله إسرائيل بكل آيات الاجلال ، ومظاهر الاعظام : فهرع الناس من جميع الجهات ، وجاءت الوفود للقاء الملك .، ومشاهدة تابوت العهد ، ولشد ماكان فرح وسرور الشعب فى ذلك اليوم العظيم ولما اجتمع عظماء المملكة ، طلبت الملكة منهم أن يمسحوا الملك من جديد فمسحوه ملكا على أثيوبيا ، وتنازلت عن ملكها ، وأقسم عظماء الدولة ورجال المملكة أن يتركوا عبادة الاوثان ويعبدوا الرب ، ويتبعوا الحق والعدل ، وقالت الملكة لابنها : « إنى أعطيتك ملكى ، وتوجتك ملكا على شعبى ، فأنت الذى مسحك الرب وباركك ، يابنى ضع كل رجائك فى الله ينصرك على أعدائك » فقام الملك وركع أمام أمه وقال : أنت سيدتى ، أنت ملكة علينا ، وأنا خادمك ، وأنت السيدة ونحن العبيد ، كلنا نخضع لأمرك ، ونفعل ما ترغبين ، صلى لأجلى حتى يباركنى اله إسرائيل ، نحن الآن نملك تابوت العهد ، فيجب أن نحفظ وصايا الله ، ونشكر نعماءه ، ثم قالت لابناء إسرا ئيل « يا أبناء صهيون حافظوا على ولدى ، وعلموه محبة الله ، يباركنا الرب الى آخر الاجيال ٠» فأجابها عظماء اسرائيل : « أنت ملكتنا ، ومن أجلك تركنا أوطاننا ، وأتينا لنقيم هنا ، وخاطرنا بأنفسنا ، وأحضرنا تابوت العهد ، فحياتنا لك وفى خدمتك نموت ، ولا رجاء لنا الا فى شخصك المحبوب .

فأجابتهم الملكة «أنتم اخواننا ورؤساء الشريعة وأهل بيتها ، بشروا شعبى وعلموه كلمة الحكمة لان العلم والحكمة نبراس

العقل· وانى أسأل الاله أن يهبنى الحكمة » فقالوا لها « إن حكمتك قد بلغت حكمة سليمان ، فقد استطعت بها أن تجذبى إليك قلوب أبناء بنى إسرائيل الابكار ، حتى أتوك بتابوت العهد ، وقد بذلت الجهد فى اسعاد وطنك ، وأبعدث عنه بعلمك عبادة الاوثان وعلمتيه عبادة الآله الحى ، الذى خلق السموات والأرض ، وهو القادر على كل شىء ، العالم بما تخفيه الصدور ، وماتكنه الضمائر ، قد اخترت الحكمة فعلمك الله إياها ، وبحثت عن العلم ، فكنت كنزاً له ، فان الحكمة من الله وحده ورأس الحكمة مخافة الله »

ثم زار الملك وأمه وأبناء إسرائيل وعظماء الشعب الاثيوبى تابوت العهد ، وقدموا لله فروض العبادة ، وللتابوت واجبات الحفاوة والاحترام ، وانصرفوا شاكرين الله على نعمته ، داعين لملكهم بطول البقاء والنصر على الاعداء .

انتهت قصة ملكة سبا بعون الله وتوفيقه

ملاحظات على الاسطورة

من خلال هذه القصة التى سقناها كاملة نستطيع أن نستخلص بعض الملاحظات التى قد تفيدنا فى دراستنا هذه ، وفى حديثنا عن أصل الفلاشا وذلك على النحو التالى :-

١ - للقصة أساس يهودى يتضح بجلاء فى ذكر سليمان عليه السلام وبنائه بيت الله المقدس واستعانته بالجوييم (غير اليهود) فى بناء هذا البيت ، وما استجلبه من أخشاب ومستلزمات للبناء ،

وقد وردت هذه القصة مفصلة فى سفر الملوك الاول من الاصحاح الخامس وحتى الاصحاح التاسع ٠

والاساس اليهودى الثانى يتمثل فى قصة زيارة ملكة سبأ لسليمان ، وقد وردت كما ذكرنا من قبل فى الاصحاح العاشر من سفر الملوك الاول ٠

٢- هيأت وقدمت القصة للغرض الاساسى المنشود من ورائها ، وهو معاشرة سليمان لملكة سبأ معاشرة الازواج ، بما قام به تمارين التاجر حيث أطنب فى مدح سليمان أمام الملكة « وما كادت الملكة ماكدا تسمع هذا الثناء ، حتى وقع من قلبها موقعا له أثره ، فارتسمت صورته فى مخيلتها وتعلقت روحها به ، وعشقته على السماع واشتد بها الشوق حتى استحال ولها وهياما ، فلم تستطع على بعد سليمان صبراً »

هكذا وقعت « أم الفلاشا » فى غرام سليمان « أبى الفلاشا » وليت الامر قد انتهى عند ذلك ، وانما ما أوردته القصة فيما بعد كان أشد وانكى .

فالملكة تواصل طرح شباكها حول سليمان : « وانى أود أن أكون احدى جواريك أغسل عن قدميك ، وأسمع كلمتك وأخضع لاوامرك، فان السعادة أراها بالقرب منك ولا أستطيع البعد عنك ٠»

ولايتفق هذا الوله والغرام مع ما جاء بعده بقليل ، اذ أن الملكة حنت الى الوطن فأرسلت الى سليمان رسولا ينبئه برغبتها ويرجوه تحقيق بغيتها ، وأوصته أن يبلغ الملك هذه العبارة :

« قد كنت أرغب فى الاقامة بديارك والعيش بجـوارك غير أنه لزام على أن أعود الى مملكتى ..... »

فما الذى حدث ؟ وما الذى غير فجأة من مشاعر الملكة تجاه سليمان ؟ كيف يكون لزاماً عليها فراقه وهى التى لاتستطيع البعد عنه ؟.

أهى تقلبات المزاج لدى المرأة؟

أم أنها مستلزمات حبكة القصة ؟

٣- ان الصورة التى رسمت لسليمان فى هذه القصة تتفق مع الخطوط العريضة لشخصيته حسب روايات العهد القديم . فهو فى نظر سفر الملوك الاول « زير نساء » لا نبياً ولارسولا ، يجرى وراء شهواته حتى ولوداس دينه بقدميه وأشرك باله اسرائيل الغيور.

« وأحب الملك سليمان نساء غريبة كثيرة مع بنت فرعون موأبيات وعمونيات وأدوميات وصيدونيات وحثيات . من الأمم الذين قال عنهم الرب لبنى إسرائيل لاتدخلون إليهم وهم لايدخلون إليكم لانهم يميلون قلوبكم وراء ألهتهم . فالتصق سليمان بهـؤلاء بالمحبة . وكانت له سبع مئة من النساء السيدات وثلاث مئة من السرارى فأمالت نساؤه قلبه . وكان فى زمان شيخوخة سليمان أن نساءه أملن قلبه وراء ألهة أخرى ولم يكن قلبه كاملا مع الرب إلهه كقلب دواد أبيه . فذهب سليمان وراء عشتورت الهة الصيدونيين وملكوم رجس العمونيين . وعمل سليمان الشر فى عينى الرب ولم يتبع الرب تماما كداود أبيه . » ملوك أول ١١ :١ - ٦

فاعتمادا على هذه الصورة « المقدسة » فى الكتب اليهودية « المقدس » لسليمان بدأت أحداث « كبرا نجشت » :

« فلما سمع سليمان من الرسول هذا الكلام قال فى نفسه : ان هذه الملكة على جانب كبير من الجمال وذات فتنة ودلال ، ومن يعلم فعسى أن يكون لى منها ولد » ٠

وبدأ سليمان يحيك مؤامرته ضد ملكة سبأ ٠ فهو يستدرجها الى قصره ، ويمهد لمطلبه بما أعده لها من تكريم ، ثم يعرب لها عن أمنيته فى المبيت بقصره ٠

ثم يتعهد لها بالمحافظة على عفافها وشرفها بعد أن وضع شرطا صعب التحقيق وهو ألا تمس شيئاً فى قصره ، ليصل الى مايريد ٠

ويستمر فى خداعه لها « فيتظاهر سليمان بأنه غارق فى سبات عميق » وهو يتحين الفرصة لتحقيق مآربه ٠

ويستغل حاجتها لشربة ماء ويطلب مضاجعتها ٠

وأسلوب التحايل لتحقيق الهدف – حتى ولوكان ذلك الهدف دينياً مقدساً – هو أمر مألوف ومعروف فى كتب اليهود المقدسة ٠

فبالتحايل استطاع يعقوب أن ينتزع البركة من أبيه اسحق ويحرم منها أخاه عيسو (تكوين ٢٧) ٠

وبالتحايل استطاع يعقوب أن يستأثر بالغنم القوية ، وأن يترك الضعيفة للابان (تكوين ٣٠) ٠

وبالتحايل مارس أبناء يعقوب – تحت سمع وبصر أبيهم – أبشع

ألوان التقتيل فى قوم حمور الحوى بعد أن أعطوهم الأمان ، وطلبوا منهم جميعا الختان ، ثم انتهزوا فرصة تألمهم وأجهزوا على كل ذكر ونهبوا المدينة كلها · (تكوين ٣٤) ·

اذن ، مبدأ التحايل والخداع هو مبدأ مشروع حسب نصوص التوراة ، ومن ثم كان هذا المبدأ نبراساً بنى عليه صاحب القصة السليمانية التى نحن بصددها جوهر الحبكة فى روايته ·

المهم ، أن سليمان حقق مآربه مع ملكة سبأ « فاضجعت وسليمان فى سرير واحد وماهى الاسويعات قصيرة حتى استولى عليهما سلطان الكرى . . . . » ·

٤ - بعد المضاجعة التى تمت ، يهدى سليمان خاتماً للملكة طالباً منها أن تهب هذا الخاتم لمولودها قائلا « وعندما تضعين حملك منى . . . » ·

فكيف تسنى لسليمان أن يعرف أن المضاجعة قد أثمرت حملاً بالرغم من مغادرة الملكة للبلاد مباشرة ، وهذا مايؤكده تسلسل الاحداث ، فهى قد قطعت رحلة استغرقت تسعة أشهر وخمسة أيام ثم ولدت · فمعنى هذا أنها غادرت قصر سليمان بعد المضاجعة ، لأنها لو انتظرت حتى تتيقن من الحمل وتخبر سليمان لكان المولود ابن سنة تقريبا وهذا بعيد الاحتمال ، وانما هو خلل فى « حبكة القصة » ·

٥ - ذكرت القصة أن الملكة قد جدت فى سيرها بعد مغادرة سليمان ، عائدة الى وطنها سبأ ، وسبأ فى جنوب الجزيرة العربية وأنها - أى الملكة - قد وضعت مولود ها بعد تسعة أشهر

وخمسة أيام فى بلدة (لرباد يسارية) وقبل أن تصل الى وطنها ٠

ومن المستبعد أن نقبل هذا الزعم الذى يجعل المسافة بين أورشليم وسبأ مع الجد فى السير تستغرق هذا الزمن الطويل ٠ ولنرجع الى قريش ، ورحلة الشتاء والصيف ، وقريش كانت فى مكة ، ولنقدر المسافات التى بين مكة وسبأ وبين مكة والشام (بالقرب من أورشليم) وسنجد أن الزمن الذى استغرقته رحلة ملكة سبأ زمن مبالغ فيه ٠

٦- تفضيل ابن على ابن هو معلم من معالم القصص التوراتى سواء أبديت لذلك الاسباب الواهية أم لم يكن هناك ثمة مبرر ٠

ونحن نعلم قصة ايثار اسحق بالعهد الالهى رغم صغره ، على اسماعيل لأن الاول ابن حرة بينما الثانى - رغم بكورته - ابن أمة ٠

ولكننا فى هذه القصة ، نجد مخالفة صريحة لاعراف التوراة .

سليمان يريد منح الملك للاكبر رغم أنه ابن غير شرعى وحرمان رحبعام الاصغر وهو ولده من زوجه الشرعية ٠

يقول ابن الحكيم ، ولد سليمان وملكة سبأ لأبيه رداً على رغبته فى منحه الملك دون رحبعام : « وعندك رحبعام ولدك من زوجك الشرعية ، وهو أحق بالملك منى اذ ولد فى مملكتك وبين عظماء دولتك » ٠

فليس ثمة مبرر لتفضيل ابن ملكة سبأ على رحبعام الا

محاولة اظهار تمسك سليمان بولده من ملكة سبأ ، أى اظهار الانتماء السليمانى للفلاشا بحكم انحدارهم من نسل ابن سليمان ٠

وهكذا اعتدنا دائما فى قصص العهد القديم ، لكننا نرى روح الانبياء تنزل على سليمان وتقول له : « لماذا تبكى وقد تم كل شىء بأمر الله ولم يعط تابوت العهد لاجنبى بل أعطى لابنك ووارثك » ٠

فكيف خالفت روح الانبياء هنا روح الشريعة اليهودية وجعلت من ابن الحكيم وهو وليد زواج غير شرعى ، وارثاً لأبيه !!

انه توظيف النصوص المقدسة لتحقيق المصالح والمآرب ٠

وابرز ما نستنتجه من هذه القصة هو أن المسميات : سبأ والحبشة وأثيوبيا ذات دلالة واحدة ٠

فالاسم الرئيسى فى القصة هو سبأ ، وتقع فى الجهة الشرقية من شاطىء البحر الاحمر وفى اليمن على وجه التحديد ٠

ولكننا نجد الملك سليمان يرى فى منامه رؤيا يقصها على ملكة سبأ قال فيها : « لما كنت نائما معك رأيت كأن الشمس التى تضىء أسرائيل قد غابت عنه ، وانتقلت الى بلاد **الحبشة** ، وبقيت هناك تسطع بأشعتها وتضىء بنورها ، فليت شعرى من يعلم أن **بلادك** مباركة بسببك ؟ ٠

فبلاد الملكة هنا هى الحبشة ٠

وقبلها شاهد سليمان هذا الكوكب يضىء البر والبحر **وجبال أثيوبيا** ومملكة روما » ·

فبلاد الملكة هنا هى أثيوبيا أيضا ·

وابن الحكيم – ابن سليمان وملكة سبأ – هو ملك أثيوبيا ، وهو عندما جاء لرؤية أبيه جاء « من **الحبشة** قاصدا أورشليم » ·

وقد فرح أهالى أورشليم بتولية ابن الحكيم ملكا على **الحبشة** ولكن فرحهم مالبث أن تلاشى حينما فاجأهم سليمان بقراره الذى يقضى بأرسال أبنائهم الابكار بصحبة ولده الى **اثيوبيا** ليكونوا حاشيته ورجال دولته . . . . . » ·

فسبأ هى الحبشة هى أثيوبيا ·

وأهل سبأ هم الاحباش ·

« وكان سرور الأحباش لذلك عظيما » ·

« ان الاحباش يعبدون الله وان اعداءهم يأكلون النار » ·

وأهل سبأ هم أيضا الاثيوبيون :–

« ودع كبير الكهنة[1] (زديك خان) **الاثيوبيين** ورجع الى الملك سليمان » ·

« وأصدر (سليمان) الاوامر الى أمرائه وقواده وجنوده باللحاق **بالاثيوبيين** والاتيان بهم » ·

---

(١) من الغريب أن يطلق مثل هذا الاسم الاسيوى (الباكستانى أو الهندى) على كبير كهنة سليمان ·

وابن الحكيم وأمه يزوران « الشعب الاثيوبى » ٠

وأخيرا ، بقى أن نقول فى تعليقنا على هذه الاسطورة اليهودية – الحبشية أننا لم نجد ما يؤيد ويدعم الزعم القائل بمضاجعة سليمان لملكة سبأ وحملها منه ، الا أن راشى قد ذهب فى تفسيره للفقرة الثالثة عشرة من قصة ملكة سبأ مع سليمان والواردة فى سفر الملوك الاول والتى نصها :

« وأعطى الملك سليمان لملكة سبأ كل مشتهاها الذى طلبت »٠

بأن المقصود من ذلك جماعها ، وأنها ولدت منه بالفعل نبوخذ نصر الذى دمر الهيكل(١) ، وهذا التعليل غير مقبول على الاطلاق حيث لايوجد من الادلة ما يدعمه ويؤكده ٠

وقد ذهب ولندورف الى أن المقصود من ملكة سبأ فى القصة هو المملكة لا الملكة ذاتها (٢) ٠

والخلاصة ، أن المعلومات المتوفرة لدينا حتى الان لاتمكننا من توضيح أصل هذه الطائفة ايضاحاً لا تشويه الشوائب ، وأقرب ما نطمئن إليه وفق ماذكرناه حول تاريخ الطائفة هو أن التأثيرات اليهودية التى تسربت – مع بعض اليهود – الى الثقافة الاثيوبية يرجع مصدرها الى شبه الجزيرة العربية ٠

أما الرأى الشائع فى الأوساط اليهودية والفلاشية فهو أن طائفة

---

(١) قشانى ، المرجع السابق ، ص٩٠

(٢) المرجع السابق ٠

« بيت أسرائيل » هى من بقايا مباشرة لمهاجرين يهود وأ ن دينهم مبنى على أسس يهودية عتيقة بسيطة وسطحية للغاية ، كما يتضح لنا أن بلورة هذه الطائفة قد جاءت نتيجة تطور وتركيب لعناصر عديدة مثل الهجرة ، الزواج المختلط ، التشابه الحضارى والتعديلات الدينية ٠

ولعله من الاجدر بنا أن نعرض بايجاز لمسيرة اليهودية فى بلاد الحبشة ، اذ فيها مايفند المزاعم اليهودية التى تحاول ربط الوجود اليهودى فى هذه البلاد بفترات بالغة فى القدم ٠

٤ – اليهود فى الحبشة :

مما لاشك فيه أن بلاد الحبشة قد شهدت وصول العديد من الهجرات التى ينتمى أصحابها الى ملل وديانات مختلفة بحكم موقعها الجغرافى ، فقد شهدت وصول مسيحيين ويهود ومسلمين ٠

وان كنا لانجد صعوبة فى تتبع خط سير النصارى والمسلمين الذين حلوا بأرض الحبشة فاننا قد نجد أنفسنا أمام أكثر من احتمال للوقوف على بدايات التسلل اليهودى الى تلك البلاد ٠

ولما كان أقرب الاحتمالات لتبرير الوجود اليهودى فى الحبشة يتعلق بيهود الجزيرة العربية فانه من المفيد فى هذا المقام أن نوضح بعض الحقائق المتعلقة بالوجود اليهودى فى بلاد العرب والذى ترجعه بعض المصادر(١) الى أيام تخريب بيت المقدس عام ٧٠م على أيدى أباطرة الرومان حيث هرب اليهود من مذابح الرومان وأسسوا جماعات فى مناطق متفرقة مثل بابل وعدن ، وقد

كتب لهم التفوق بسبب مالهم من حضارة اذا ما قورنت أحوالهم ببعض المناطق ذات الشعوب البدائية كما فى بلاد العرب ٠

وكعادة اليهود ، استطاعوا استغلال الصراع القائم وقتئذ بين القوتين العظميين الروم والفرس ، وانضموا الى الفرس وعاشوا تحت حمايتهم فى اليمن ، بل وقويت شوكتهم وبدأوا ينتقمون من النصارى الرومان الذين يمرون بهم فى طريقهم التجارى الى الحبشة ومصر ، وساعدهم الفرس فى ذلك لوقف لانتشار النفوذ الرومانى السياسى والاقتصادى والدينى فى نفس الوقت ، ذلك النفوذ الذى امتد الى الحبشة جنوباً ، وضرب مايشبه الحصار على حمير فى اليمن بخاصة فى عهد الملك ذى نواس ٠

ولن نخوض هنا فيما تناقلته كتب التاريخ من روايات اضطهاد اليهود للنصارى وما تبعها من مناوشات وحرب ، اذ أن هذه الروايات تختلف من مصدر لآخر وتنقصها الأدلة المعضدة لها بل وتختلط بالاساطير والخرافات فى كثير من الاحيان ٠

ويكفى أن نشير هنا الى أن اضطهاد ملوك اليهود فى اليمن للنصارى قد أغرى الرومان وحلفاءهم من الاحباش بشن هجوم بدأه نجاشى الحبشة حوالى سنة ٥٢٣ م حيث أرسل أسطولاً الى بلاد اليمن يعضده أسطول رومانى آخر ، وانتهى الأمر بمقتل ذى نواس وسقوط عاصمته ظفار فى أيدى الاحباش ، الأمر الذى

---

(١) عبد المجيد عابدين ، المرجع السابق ، ص٤٢ ٠

ساعد على تدعيم النفوذ الرومانى فى اليمن مما أثار حفيظة الفرس الذين سعوا لبث بذور الفرقة بين أحباش اليمن وأحباش أفريقيا ، وبدأت ثورة أهل اليمن الرامية الى الاستقلال وطرد الافارقة وقد استطاع ملك الحبشة بعد فشل محاولاته العسكرية أن يعقد صلحاً مع أهل اليمن ٠ هذه الأحداث أشار اليها نقش عثر عليه فى حصن الغراب بحضرموت ويرجع تاريخه الى ٥٢٥ م (١) ٠

وكان أبرهه ممن حكموا اليمن ، وهو مسيحى كان يبغى استقلال بلاده عن مملكة أكسوم فى الحبشة وثار عدة مرات الى أن فلح فى فرض سيادته على اليمن وان بقيت تبعيته لدولة أكسوم اسمية فقط ٠ وقد بنى أبرهه كنيسة صنعاء التى عرفها العرب باسم القليس ورمم سد مأرب عام ٥٤٢ م كما سعى الى استتباب الأمن والاستقرار فى الولايات التابعة له ووقف الرومان الى جانبه لتشكيل جبهة قوية فى وجه الفرس الأمر الذى شجع أبرهة على بسط نفوذه على مناطق أخرى فى بلاد العرب ومن ثم أعد العدة لغزو مكة المعروف فى عام الفيل ٥٧٠ م وان كان الباحثون يؤرخونها بعام ٥٤٠ م ، وزعم أخرون بخلط الاحداث فى المصادر العربية حيث كانت هناك غزوة سابقة لغزوة أبرهه لمكة المكرمة ٠

---

(١) المرجع السابق ، ص ٥٦ – ٥٨ .

وبمرور الأيام تزايد النفور اليمنى من الوجود الحبشى حتى تمكن الفرس وبنو حمير من طرد الأحباش ، بل وواصل الفرس غزوهم لسواحل البحر حتى اخضعوها ، ومما يذكر أن تاريخ دولة أكسوم فى هذه الفترة (القرنين السادس والسابع) مازال مثار خلاف بين الباحثين ونحن فى غنى عن الخوض فى مثل هذه الخلافات اذ أننا لانؤرخ للحبشة بقدر مانشير الى أبرز فترات الوجود اليهودى فى هذه المناطق ٠

كما أن الفترة الواقعة من القرن السابع الى القرن الثالث عشر ، هى فترة غامضة فى تاريخ الدولة الاكسومية كذلك ، ولم تظفر بذكر ذى قيمة فى كتب الجغرافيين العرب من أمثال ياقوت الحموى والمسعودى والخوارزمى ، ثم بدأت بعض الأخبار عن الحبشة فى الظهور خلال القرن الرابع عشر حتى جاءت رسالة المقريزى المسماه بـ « الالمام بمن فى أرض الحبشة من ملوك الاسلام » والتى كتبها عام ١٤٣٥ م فى مكة وتعد من أصح الكتابات وأصدقها فيما يتعلق بأخبار الحبشة فى هذا القرن ٠

ولم يكن المؤرخون غير العرب بأحسن حالا من مؤرخى العرب ، اذ أن أخبار الحبشة فيما بين القرنين السابع والثالث عشر كانت غامضة أيضاً فى كتاباتهم وربما كان ذلك بتخطيط يهوذى من أجل طمس معالم هذه البلاد تميهداً لتهويد تاريخها ، اذ تذكر المصادر اليهودية (١) أن عام ٩٦٠ م قد شهد ثورة ليهود

---

(١) ولد مان ، مناحم ، يهود اثيوبيا (بالعبرية) ، القدس ، ١٩٨٥ ، ص ٩ ؛ قشانى ، المرجع السابق ، ص١٣ ٠

الفلاشا مع أسباط وعشائر الآجاو ضد ملوك أكسوم من أسرة منليك النصرانية ، وقد تزعمت هذه الثورة ملكة تدعى يهوديت (وفى رواية أخرى أستير) التى سعت من أجل اقصاء النصرانية عن البلاد حيث أحرقت الكنائس والأديرة وقتلت الرهبان والقساوسة وحكمت سلاله يهوديت قرابة ثلاثة قرون ونصف إلا أن أسرة منليك استطاعت أن تعود مرة أخرى بفضل تمكن النصرانية من البلاد بل لقد ضربت النصرانية بجذور عميقة لها فى عادات وعقا ئد اليهود أنفسهم ٠

لقد ظلت أسرة زاجو – التى تنتمى اليها يهوديت – حاكمة على بلاد الحبشة حتى قام نزاع بينها وبين « يكونو أملاك » الذى زعم أنه من نسل سليمان عليه السلام واعتلى العرش بالفعل عام ١٢٧٠ م مؤسسا للاسرة السليمانية التى ظلت تحكم الحبشة حتى هيلاسلاسى فى العصر الحديث ٠

ومما يذكر أن هذه الاسرة وملوكها كانوا يدينون بالمسيحية وكانوا يدينون بالمذهب اليعقوبى القائل بأن للمسيح طبيعة واحدة(١) ، كما أتخذوا اللغة الا محرية لغة رسمية للبلاد بدلا من الجعز ٠

ولم ينته الامر عند ذلك ، وانما واصل يهود الفلاشا العادة اليهودية المتمثلة فى الثورة ضد البلاد التى يقيمون فيها وزعزعة استقراها خاصة وأن حكام الحبشة قدتشبعوا بكثير من الأ فكار

---

(١) حول هذا المذهب انظر : زاكية محمد رشدى و آخرون ، تاريخ الأدب السريانى ، دار الثقافة ، القاهرة ١٩٧٤ ، ص ١٢٣ – ١٣١ ٠

الصيلبية التى حملها الاوربيون معهم فى غزوهم للشرق ، اذ يسجل التاريخ جهود القيصر الحبشى النصرانى عمدا صهيون (١٣١٤ -١٣٤٤ م) وحروبه التى خاضها ضد المسلمين فى جنوب وشرق الحبشة ، هذا القيصر الذى بعث بقائده العسكرى ساجا كريسطوس عام ١٣٣٢ م على رأس حملة لقمع ثورة فلاشية جديدة فى الشمال والغرب ، وقد استطاع هذا القائد دك الفلاشا والقضاء على تجمعاتهم فى هذه المناطق ٠

وبعد فترة من الهدوء استمرت قرابة اربعين عاما جدد النجاشى داود الاول (١٣٨٢- ١٤١١) السياسة التى رسمت له من قبل على يدى جده صهيون ، وكان نصرانياً متعصباً واستطاع أن ينقل فى عهده من القدس الى الحبشة جزءا من الصليب الحقيقى الأمر الذى أثار ضجة كبرى فى الأوساط الدينية وقتئذ ، كما شن حروباً ضارية ضد المسلمين وهدم المساجد المقامة على شواطىء البحر الاحمر وبنى مكانها الكنائس العديدة ومما يذكر أن نضاله وحروبه ضد المسلمين قد شغلته عن أمر الفلاشا الذين لم يشهدوا فى عهده مايعكر صفوهم فعادوا الى الانتشار فى مناطق عديدة من البلاد (١) ٠

كما واصل القيصر اسحق (١٤١٤ - ١٤٢٩) وهو ابن القيصر داود حروبه ضد الفلاشا ودمر معابدهم وأقام الكنائس مقامها ، واستمر القيصر زرع يعقوب (١٤٣٤ - ١٤٦٨) فى أداء المهمة ذاتها حيث أجبر غير المسيحيين على وضع علامات على جباههم

---

(١) قشانى ، المرجع السابق ، ص ٢٤ .

تعلن خضوعهم وايمانهم بالنصرانية ٠

ويبدو أن بعض الفلاشا لم يستجب لهذا الامر الملكى ، وقاموا بهجوم مضاد تمثل فى عملية نشر التعاليم اليهودية بين نصارى البلاد ، وتذكر المصادر تهود كثير من أسرة الملك بما فيهم ابنه الذى تحول الى يهودى زاهد ناسك ٠

واستمر بادا مريام ابن زرع يعقوب (١٤٦٨ - ١٤٧٨) فى السياسة العدوانية تجاه الفلاشا ، وشن حربا لمدة سبعة أعوام حتى استسلم الفلاشا له وتم تجميعهم فى مكان واحد وتم دكهم دكاً ، وكان نتيجة هذه السياسة تظاهر العديد من اليهود باعتناق النصرانية مما خلق مشكلة جديدة ظهرت بوضوح فى عهد القيصر « نعود » (١٤٩٤ - ١٥٠٨) حيث انكشف نفاق الفلاشا وعدم التزامهم بالنصرانية مما جعل القيصر يتخذ تجاههم اجراءات وحشية للغاية ٠

ويمارس اليهود دورهم فى اشعال نيران الحروب ، فنراهم يعضدون ويعاونون قيصرى الحبشة لن دنجل (١٥٠٨ - ١٥٤٠) وكلاوديوس (١٥٤٠ - ١٥٥٩) فى حروبهما ضد المسلمين الذين بسطوا نفوذهم على مناطق عديدة من الحبشة الأمر الذى مكن الأحباش من تحرير أراضيهم ، ولكن ما لبث الأحباش أن عادوا الى ما كانوا عليه من محاربة الفلاشا الذين عادوا أيضا الى ثوراتهم واضطراباتهم فسقط قائد الفلاشا يورام على يدى كلاوديوس ثم ظهر الفلاشى رداى فى عهد القيصر مينس (١٥٥٩ - ١٥٦٣) وحاربه ثم أسر فى عهد القيصر شرتسا دنجل

(١٥٦٣ - ١٥٩٧) والذى استطاع أن يستولى على مواقع الفلاشا ويوقع بهم شر هزيمة ٠

وعاد الفلاشا مرة أخرى الى الاضطرابات على يدى زعيمهم جوشن الذى أضطر بعد سقوط حصنه فى أيدى قوات القيصر لأن يلقى بنفسه من أعلى الجبل ومعه زوجته وأخته ٠

وبالرغم من تدهور قوة الفلاشا خلال الحروب التى وقعت على مرتاريخهم ، فقد ظهر أيام النجاشى سوسينوس (١٦٠٧ - ١٦٣٢) قائد جديد بينهم يدعى جدعون ، انتهز وقوع تمرد ضد النجاشى فى منطقة سمين وشارك فيه هو وقومه ، وبعد أن عادت الأمور الى نصابها لم ينس النجاشى وقفة الفلاشا ضده فقرر تدمير حصونهم وابادتهم حتى اضطروا الى الاستسلام وقبل سوسينوس استسلامهم بشرط تسليمهم لزعيمهم الذى هرب ، ولكن استطاع الفلاشا القبض عليه وتسليمه للنجاشى بعد أن ألقوا سلاحهم وعادوا الى قراهم وأعمالهم بعد أن أعطاهم النجاشى الأمان ثم ظهرت بعد ذلك حملات نصرانية تبشيرية استهدفت الفلاشا واستمرت حتى القرن الحالى واستطاع المبشرون البروتستانتيون والانجيليون أن ينقلوا العديد من الفلاشا الى النصرانية ٠

وقد شهد الفلاشا إبان سنوات الاحتلال الايطالى للحبشة (١٩٣٦ - ١٩٤١) ، توقفاً لنشاطاتهم اليهودية حيث أغلقت مدارسهم إلا أنه مع استقلال اثيوبيا نعم الفلاشا بالمساواة من قبل السلطات الحاكمة وخرج أبناؤهم من القرى الى المدن وبخاصة الى جوندر

وما حولها وبدأوا فى الابتعاد عن اليهودية والذوبان فى البيئة الجديدة ولكن مع قيام أسرائيل اشتعلت من جديد جذوة اليهودية فى صدور بعض الفلاشا ٠

ويتضح لنا مماسبق أن احتمالات التواجد اليهودى بصورة جماعية على أرض الحبشة قبل القرن الخامس ، أو على أبعد تقدير قبل الميلاد هى قضية ينقصها التأكيد ، إذ ليس هناك مايدعم الزعم اليهودى بانتماء هذه الجماعات الى هجرات سابقة أو الى أيام سليمان ، وعليه فاننا نستطيع أن نقول – بشىء كبير من الاطمئنان – أن بلاد الحبشة لم تشهد استيطاناً يهودياً يرقى لتكوين طائفة أو جالية واضحة المعالم وفقاً للمزاعم اليهودية المعاصرة وانما برز ذلك الاستيطان فقط فى القرن العاشر الميلادى ، ولاشك أنه قد سبق بتواجد محدود ٠

الفصل الثانى

الفلاشا
حياتهم ومعتقداتهم

١- تسميتهم ونشاطاتهم :

يوجد اختلاف حول اسم الفلاشا ، أصله ومعناه ٠

فهناك من يرى أن كلمة فلاشا أو فلسين معناها الغرباء أو المهاجرون ، أى السكان غير الاصليين للبلاد ٠[١]

وقيل أن أسم الفلاشا مشتق من فلاس ومعناها بلغة الجعز السامية : عبر ، هاجر ، فكأنهم العبريون أو المهاجرون [٢] ٠

أما مادة فلش فى العبرية فمعناها : غزا ، زحف ، اجتحاح ، اقتحم ، نفذ[٣] ٠

وفى السريانية تعنى كذلك : نقب ، ثقب ، نهب ، سلب ، فتش[٤] ٠

---

(١) قشانى ، المرجع السابق ، ص١٨ ٠
(٢) ولدهان ، المرجع السابق ، ص٢ ٠
(٣) دافيد سجف ، قاموس عبرى - عربى للغة العبرية المعاصرة ، نيويورك ، ١٩٨٥ ، جـ ٣ ص ١٤٢٨ ابن شوشان ، القاموس العبرى المركز ، القدس ، ط٩ ، ١٩٨١ ، ص٥٦٤ ٠
(٤) يوسف حبيقة ، القطوف الدانية ، معجم سريانى عربى ، لبنان ، ١٩٥٨ ص١٨٤ - ١٨٥ ٠

وفى العربية لم أجد مادة لغوية مقاربة فى النطق تشابه المعانى السابقة ، مع الاخذ بعين الاعتبار المقابلات اللفظية والاختلافات بين اللغات السامية ، ولكن وجدت فى مادة فلس فى لسان العرب (جـ ٦ ، ص١٦٥) مايلى :

فلس : الفلس : معروف ، والجمع فى القلة أفلس وفلوس فى الكثير وبائعه فلاس ٠

فاذا رجح الاصل العربى للفلاشا ، مع مراعاة تعامل اليهود فى المجالات المالية وخاصة فى تبادل النقود ، يمكننا أن نتصور اقتراحاً لا يخلو من طرافه ، وهو أن هؤلاء القوم الذين هاجروا من جنوب الجزيرة العربية الى الحبشة ، كانوا – كيهود – يشتهرون بدورهم فى مجال الصرافة ، ومن ثم كانوا يسمون أو يطلق عليهم « الفلاسون » وحملوا معهم هذه التسمية الى بلاد أثيوبيا ، وحدث الإبدال المعهود فى اللغات السامية بين السين والشين ، ومن ثم عرفوا بالفلاشا ٠

ومع هذا فنحن نحيل الى ربط هذه التسمية بمدلولاتها فى الجعزية والعبرية والسريانية ، فهى أقرب اتصالاً وتناسقا مع تاريخ هؤلاء القوم ٠

ومن مقارنة الاصول السابقة لكلمة الفلاشا يمكن أن نستخلص أن اطلاق هذه التسمية على هذه الطائفة يشير الى عدة خصائص تميزها :

أولا : أنهم غرباء عن الحبشة ، هاجروا اليها من أماكن أخرى٠

ثانيا : ربما ارتبط حلولهم فى هذه البلاد بعملية غزو أو زحف

ضدها ، وما يتبع ذلك من سلب ونهب .

ثالثا : ارتبطت هذه التسمية بمفاهيم محددة بين أفراد الشعب الحبشى على مر العصور فصار أسم الفلاشا دليلا على طائفة غريبة شريرة سيئة يملأ نفوسها الحسد ، ويمارسون ألوان السحر المختلفة[1] .

وقد بالغت بعض المصادر اليهودية فى عددهم اعتماداً على تقارير المبشرين النصارى ، اذ قدره البعض عام ١٨٥٥ بمائتى الف بينما قدره أخرون بربع مليون عام ١٨٦١ .

أما الحبر عزرائيل هيلد سهيمر فقد قدر عددهم عام ١٨٦٤ أيضاً بربع مليون فلاشى .

وقد تناقص عددهم حتى وصل فى مطلع القرن الحالى الى خمسين الفا ، وهذا غير مقبول حيث لم يُؤْثَر عن تاريخهم انْ حدث لهم فى اقل من نصف قرن مذابح أو ابادة جماعية حتى يتقلص العدد بهذه الصورة الرهيبة مما يجعلنا نتشكك فى التقديرات السابقة .

وفى عام ١٩٤٦ زار البروفيسورر . لسلاو أثيوبيا بهدف اجراء بحث علمى حول الفلاشا وقدر عددهم بحوالى ١٥ – ٢٠ الف نسمة ، وهو ما يقارب تقدير دكتور ح. شوشكس الذى زار الفلاشا فى الخمسينيات من هذا القرن .

أما تقديرات النيوزويك عام ١٩٦٦ فتشير الى ان عددهم يبلغ ثلاثين

---

(١) ولدمان ، المرجع السابق ، ص٢١ .

(٢) قشانى ، المرجع السابق ص١٨ – ١٩ .

الف نسمة ، كما قدر مراسل النيويورك تايمز عددهم عام ١٩٧١ بحوالى خمسة وعشرين الفا (٢) .

وبلغ تعدادهم عام ١٩٨٣ حوالى ثلاثين الفا من ثلاثة وثلاثين مليونا من الاثيوبيين يمثل المسيحيون ٥٠ ٪ منهم ، والمسلمون ٣٠ ٪ والباقى عبدة أوثان .

ويقطن الفلاشا مناطق محددة من الحبشة حول بحيرة تانا فى شمال غرب اثيوبيا ، وهذه المناطق هى بجمدر ، كوارا ، بلسا ، لسطا ، دمبيا ، جوندر ، أرمشوهو ، وجرا ، لقيط وسمين ٠

وشهدت الآونة الاخيرة انتقال عدة أسر من الفلاشا ، سكنت المدن وبخاصة فى جوندر والعاصمة أديس أبابا وأسمرة ، ويتحدثون الامهرية أو التجرية ، أما لغة صلواتهم وكتبهم المقدسة فهى الجعز ، وهى لغة سامية قديمة تستخدمها الكنيسة القبطية الاثيوبية ٠

ويسكن الفلاشا فى قرى صغيرة للغاية ، خاصة بهم ، أو فى مجموعة بيوت منعزلة بجوار أحياء النصارى ، ويتبعثرون فى مئات القرى الصغيرة فى المناطق المختلفة حيث نجد فى كل قرية عدداً بسيطاً من الأسر يتراوح بين ثلاث وخمس أسر ، ولايزيد مطلقا على خمس عشرة أسرة ٠

ويقيم الفلاشا فى قراهم البدائية الفقيرة والمعدمة ، أكواخاً مستديرة تسمى بالحبشة « طوقول » وهى عبارة عن بيت ريفى مصنوع من فروع الاشجار المتراصة والمتلاصقة بالطين ٠

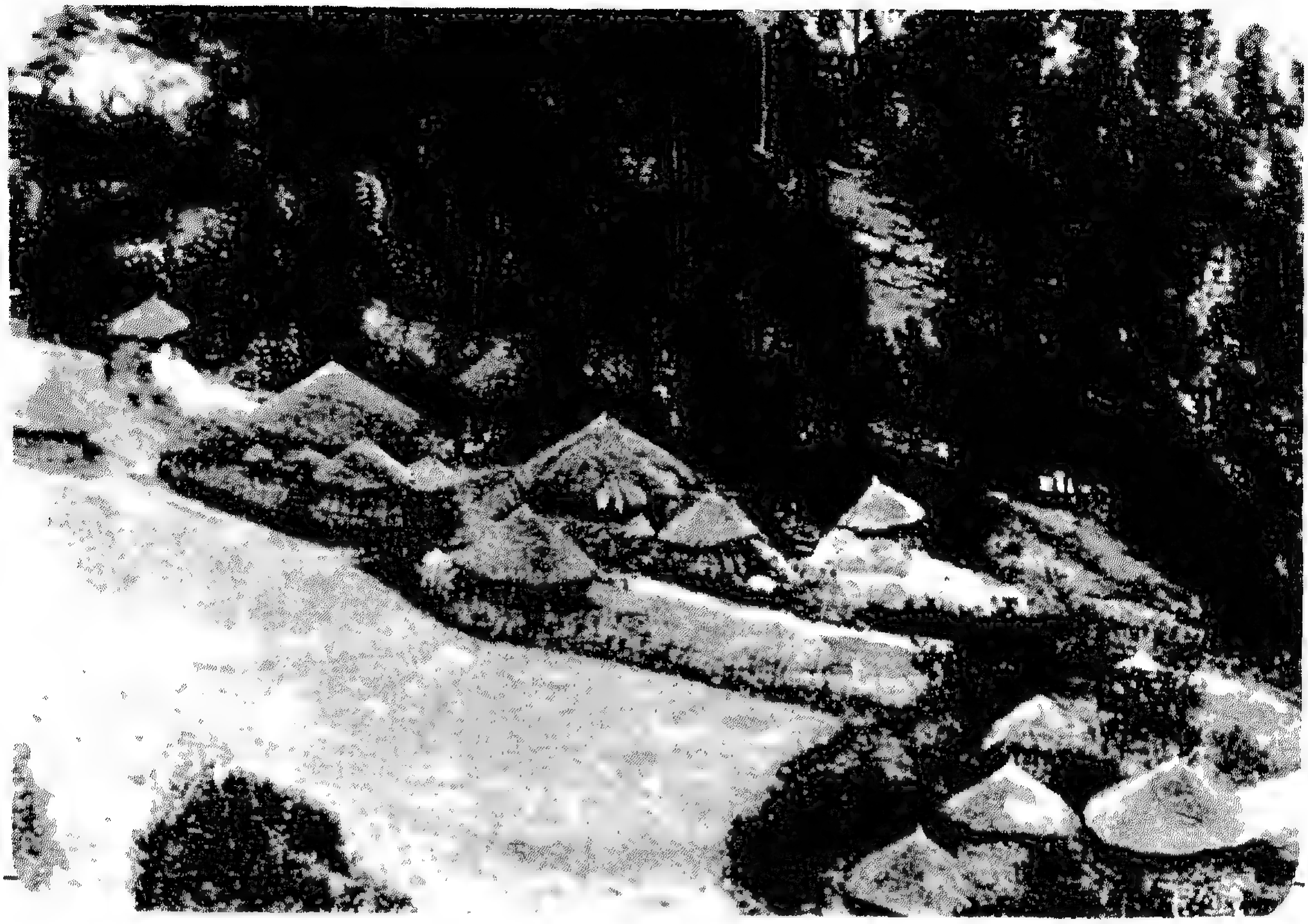

منظر عام لقرية فلاشية

ولاينتظر أن يضم مثل هذا الطوقول شيئاً ذا قيمة من أثاث ، فكل ما يحتويه عبارة عن قليل من الفرش أو الأسرة وبعض أدوات المطبخ التى صنع معظمها من الفخار ، ويتم الطبخ والتسخين بحرق الأخشاب او فى افران بسيطة للغاية ، كما ينيرون ظلام لياليهم باشعال الاخشاب أو بمواقد الكيروسين .

داخل الطوقول الفلاشى

ويعمل رجال الفلاشا فى مجال رعى الاغنام ، وكذلك فى الزراعة ، ومعظمهم يعملون كأجراء فى ارض الغير ، فهم لا يملكون أرضاً . ويعمل الكثيرون منهم فى حرف متعددة كالنسيج والحياكة وصناعة الفخار والحدادة وهى المهن التى تعتبر فى الاوساط الاثيوبية متدنية وحقيرة وتنتمى بصورة تقليدية للفلاشا .

امرأة فلاشية تعمل فى مجال صناعة الفخار

وليس بين الفلاشا تجار تقريباً ، اذ تتطلب التجارة اتصالات مباشرة مع الجوييم (غير اليهود) والابتعاد عن القرية ، وهما امران عسيران على نفس الفلاشا . فالجوييم رجس ، عليهم ان يجتنبوه بقدر الامكان ، والقرية هى اقصى ما يمكن للفلاشى أن يراه ، لانه ربط نفسه

بأساطير وخزعبلات واوهام لا يمكن ان يقيمها فى عالم متحضر . فاذا ما خرج من قريته فقد دينه ، وضاعت دنياه ، فلا بأس من الرضا والقنوع بحياة القرية اليهودية التى تشبه من الناحية الاجتماعية « الجيتو » فى اوربا بكل اقذاره واوساخه وامراضه النفسية والاجتماعية .

ويشارك ابناء الاسرة جميعهم فى العمل ، وتتسم حياتهم بايقاع بطئ للغاية ، ويبدو ان آثار التقدم العلمى والحضارى لم تعرف طريقها بعد الى قرى الفلاشا .

والفلاشا ذوو جلد أسود ، مثل باقى الاثيوبيين ، وليس هناك ثمة تشابه بينهم وبين باقى اليهود فى العالم بما فى ذلك يهود اليمن ، وهم أقرب اليهود اليهم من الناحية الجغرافية .

رجل فلاشى

ويرى علماء الانثروبولوجيا أنه ليس ثمة فرق بينهم وبين الاثيوبيين من الناحية الجسمانية الا أنهم أطول قامة من الامهريين ، والفارق الوحيد يكمن فى معتقداتهم وسلوكهم لا فى هيئاتهم واشكالهم .

كما انهم يشبهون جيرانهم فى ملابسهم ومساكنهم واساليب حياتهم بوجه عام .

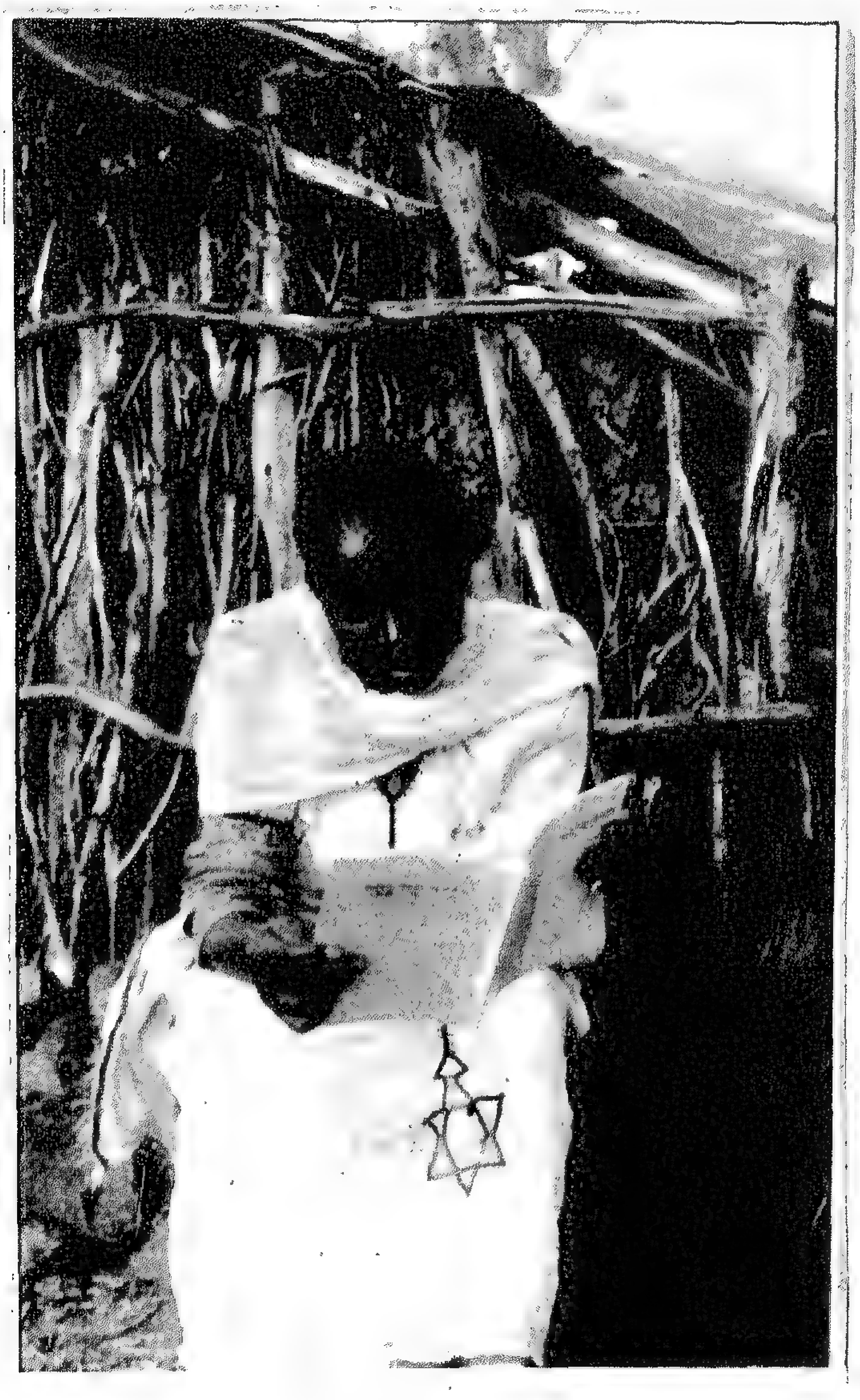

امرأة فلاشية

والفلاشا – كما تشير دائرة المعارف العبرية[1] . يكثرون من استخدام التمائم والسحر فى علاج المرضى وحل المعضلات والتنبؤ بالمستقبل والاستسقاء ، مما جعل جيرانهم يرونهم سحرة خطيرين ، وزاد ذلك من عزلتهم .

والهيكل الاسرى للفلاشى يتبع النظام الابوى .. والاحترام واجب للكبار والمسنين ولا يتزوج الرجل الا من واحدة .

وللمرأة دور تقليدى فى أعمال البيت وتربية الاولاد ، وللرجل والمسن بخاصة دور هام ، وتضم الاسرة غالباً الجد كرئيس للعائلة مع ابنائه وسائر ذريته .

---

(١) دائرة المعارف العبرية ، جـ ٢٧ . ص ٨٩٣ .

للفلاشية دور هام فى اعمال المنزل

أما النزاعات الاسرية فيتم بحثها وحسمها بحضور كبار رجال القرية وعلى رأسهم الكاهن . ولكل أسرة كاهنها المقرب اليها والقائد لها فى شعائرها الدينية ، وعنده يتم الاعتراف بالخطايا وهو الذى يحدد

الكفارة على قدر الخطأ .

ومعظم أبناء الطائفة اميون ، ولكن الاونة فى الاخيرة ، وبعد اقامة المدارس الحكومية واليهوديه بدأ الكثيرون من أبناد القرية الفلاشية فى تلقى التعليم لعدة سنوات ، وقد زادت نسبة المتعلمين على وجه الخصوص فى مدينة جوندر وما حولها من قرى ، وهناك عدد غير قليل استطاع ان يصل العاصمة اديس ابابا ويستكمل تعليمه العالى .

وقد أدت اغراءات المبشرين النصارى منذ منتصف القرن التاسع عشر بالاضافة الى الصعوبات الاقتصادية وانخفاض أحوال الطائفة الى تنصير عدد كبير من الفلاشا ، كما اسلم البعض الاخر ، وهؤلاء وهؤلاء غادورا القرية الفلاشية واستقروا فى مناطق اخرى حيث اندمجوا فى أهلها .

كما ادى ابتعاد الاسر والشباب عن القرية الى التحلل من التقاليد الدينية بل وعمد البعض الى الزواج المختلط .

أما فيما يتعلق بالحياة الدينية – وقبل ان نتناول يهود بة الفلاشا بشىء من التفضيل – فلكل قرية او مجموعة قرى كاهن يتمم للافراد شعائرهم الدينية ويقودهم ويوجههم ويقوم بدور الحاخام تماماً الا انه ليس من نسل هارون كما هو الامر عند غالبية اليهود .

فالكهانة عند الفلاشا وظيفة يتعلمها اى فرد ومن الاسر الكبيرة على وجه الخصوص وهى لا تورث على الاطلاق(١) .

---

(١) دائرة المعارف العبرية ، جـ ٢٧ . ص ٨٩٣ .

والفروض ان للكاهن عملاً يرتزق منه ، ولكن نظراً لانشغاله بادارة الحياة الدينية للطائفة وتعليمهم الوصايا والشرائع ، فان افراد الطائفة يقومون بالتبرع له لمساعدته على المعيشه وحتى يتمكن من القيام بدوره الدينى الذى لا غنى لهم عنه .

والى جانب الكاهن (يسمى قس عند الفلاشا) يوجد مساعد له يسمى (دفترا) يعاونه فى الصلوات وتعليم ابناء الطائفة فى حالة وجود الكاهن ، كما يحل محله فى غيابه .

وكان بين الفلاشا فى الماضى نساك ، يقضون سنوات من عمرهم فى بيوتهم حيث يتفرغون للصلوات ودراسة التوراة وينعزلون تماماً عن الناس ، وكانوا بمثابة القديسين الاطهار فى نظر سائر الافراد ، وقد اندثر هؤلاء النساك ولم يعد لهم اثربين الطائفة .

تلك عجالة عرضنا فيها المظهر العام لحياة الفلاشا ، ونقف قليلا عند يهود يتهم ، – فهى أمر يستحق ان نفصله بعض الشىء .

يهودية الفلاشا :

هل حقا يمكن اعتبار الفلاشا يهوداً ؟

هناك شقان للاجابة على هذا السؤال . أولهما : معتقدات الفلاشا وجوانب حياتهم الدينية ، وثانيهما : موقف الحاخامية الاسرائيلية من هدء الطائفة .

اولا : معتقدات الفلاشا وكتبهم المقدسة .

لا يعرف الفلاشا من الكتب المقدسة سوى الاسفار الخمسة وبعض اسفار لا تدخل فى اطار العهد القديم باقسامه الثلاثه : التوراة والانبياء

والكتب . وهم لا يعرفون شيئا عن المشنا أو التلمود[1] · أو أدب الجاؤنيم[2] كما لا يدركون تطور التشريع اليودى على مر العصور . والنصوص المقدسة التى بين أيدى الفلاشا كتبت بلغة الجعز التى ترجمت بها هذه النصوص عن الترجمة اليونانية التى تمت فى عهد النصرانية ، وليس هناك ما يفيد بوجود نصوص عبرية خلال تاريخ الفلاشا كله[3] .

---

(١) كلمة التلمود تعنى التعليم ، وهو مصطلح للاعمال التى تجسد القانون الشفوى او التوراة المروتية التى وصلت الى اليهود عن طريق الرواية مقابل التوراه المكتوبة ، واذا كان أصل هذه الروايات غير معروف فان تاريخها يرجع الى فترة النفى البابلى .
وينقسم التلمود الى : المشنا ، وهى المتن او الاصل ، وتتكون من ستة مباحث هى زيراعيم (البذور) ، موعبد (الايام المقررة) ، ناشيم (النساء) ، نيزيكين (الاضرار)، كود اشيم (المقدسات) وتوهاروت (الطهارة) .
والجمارا ، وهى شرح المشنا ، وهى اثنتان : جمارا أو رشاليم وهى سجل مناقشات - حاخامات فلسطين ويرجع تاريخ جمعها الى عام اربعمائة ميلادية ، وجمارا بابل وهى سجل مماثل لعلماء بابل ، وقد انتهوا من جمعها عام خمسمائة ميلادية تقريبا .
وتشكل المشنا مع جمارا اورشاليم ما يعرف بالتلمود الاورشاليمى ، وجمارا بابل مع المشنا ما يعرف بالتلمود البابلى
لمزيد من المعلومات انظر :
Schecter, S., Studies in Judaism , Philadelphia, 1924 , p . 194, and Encyclopaedia Judaica , Jerusalem , 1972 , Vol . pp . 319 - 320 .

(٢) الجاؤنيم هم رؤساء المدارس الدينية اليهودية فى بابل .

(٣) قشانى ، المرجع السابق ، ص ٢٢ .

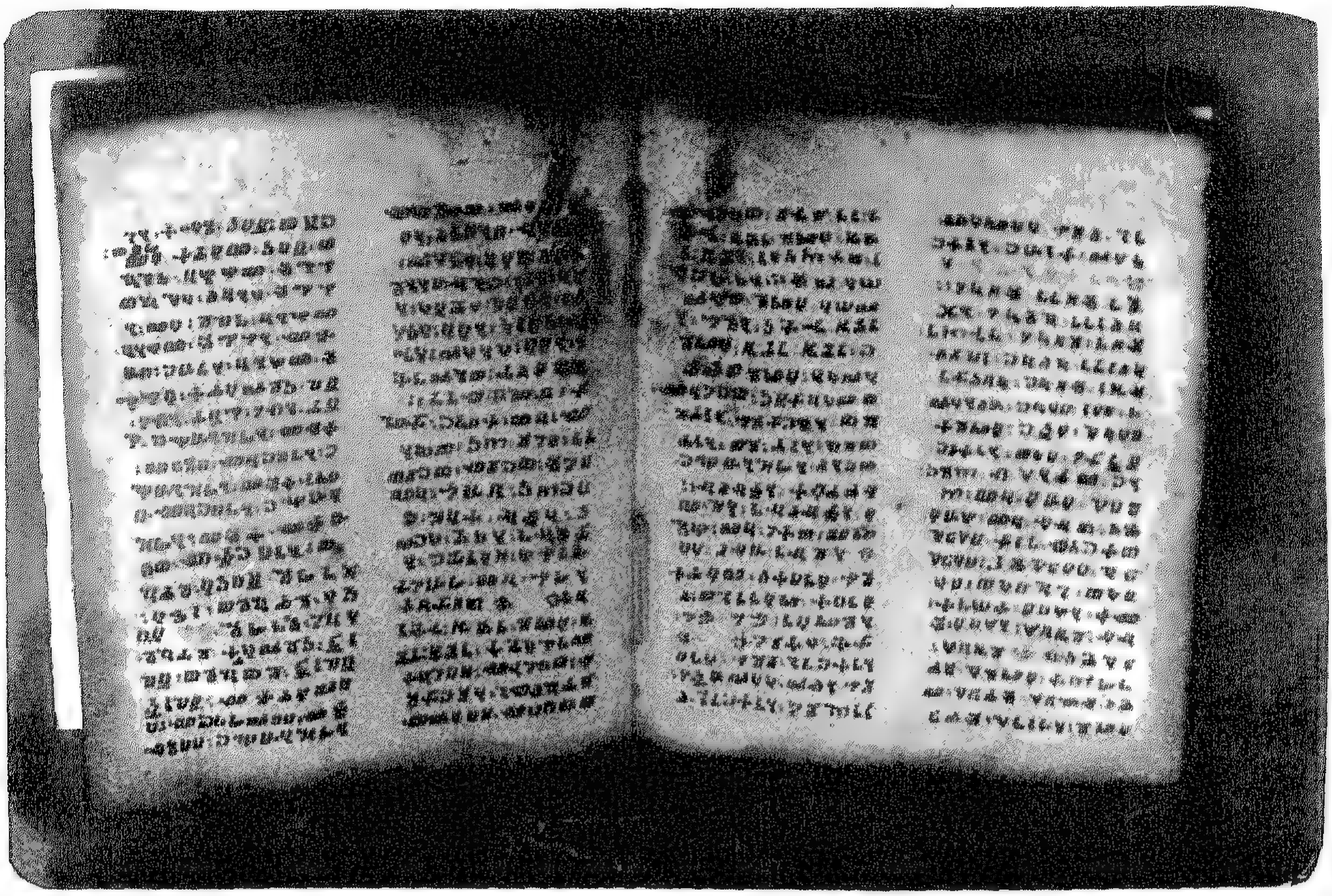

من نصوص الفلاشا المقدسة

باللغة الجعزية

أما الاسفار الخارجة عن التوراه والتى يقدسها الفلاشا فهى اسفار حنوخ واليوبيل وباروخ وعزرا ، وهى مكتوبه بخط اليد وباللغة الجعزية السامية التى قد سها نصارى الحبشة وتكلموا بها فى القديم .

كما يوجد لديهم كتب أخرى معظمها لها صيغ مختلفة فى الكنيسة القبطبة التى - بلا شك - أثرت فى الفلاشا وتأثرت بهم ، ومن هذه الكتب كتاب ارديت (التلاميذ) ، وأعمال موسى وجورجوريوس النبى ، ومدراش آبا الياهو ..... وكتب الآباء مثل آدم وابراهيم واسحق ويعقوب وموسى وهارون ، وصيغة هذه الكتب تتلاءم والنصرانية فى الكنيسة القبطية .

ويؤمن الفلاشا ببعض لتفاسير الشفوية التى انتقلت اليهم جيلاً بعد جيل ، بالاضافة الى اعراف وعادات وتقاليد بعضها يتفق وسائر المعتقدات اليهودية التلمودية ، وبعضها كان متفقا مع ما كان سائداً بين طوائف مختلفة وجدت فى عصور التوراة الأولى ولكنها لم تدخل ضمن الشريعة الاسرائيلية المعمول بها اليوم . كما نجد بعض المعتقدات والاعراف يتفق وطوائف الصدوقيين والسومريين والقرائين[1] وهى طوائف خرجت من الاطار اليهودى العام ولم تؤمن بالتلمود ولا بسائر المرويات الشفوية ، ومن ثم تباينت تشريعاتها وتشريعات الربانيين السائدة الى درجة جعلت حاخامات اليهود يصدرون الفتاوى بشأن تكفير هذه الطوائف.

وبالرغم من وجود تفاصيل الوصايا والتعاليم اليهوديه فى التوراة الموجودة بأيدى الفلاشا الا ان هناك تشويهاً وانحرافاً عن هذه التعاليم يرجعه البعض[2] الى انعزالهم عن سائر اليهود بالاضافة الى الصعوبات التى واجهت الفلاشا على مرتاريخهم .

كما اختفت بعض المظاهر اليهودية من بين الفلاشا مثل القميص

---

(١) الصدوقيون فرقة من اليهود تخالف الجمهور فى أمرين رئيسيين هما :
اولا : لا تعترف الا بالعهد القديم وترفض الاخذ بالاحاديث الشفوية المنسوبة الى موسى .
ثانيا : لا تؤمن بالبعث ولاباليوم الآخر ، وتعتقد ان عقاب العصاة واثابة المحسنين انما يحصلان فى حياتهم .
أما فرقة السامريين فهى تختلف عن الربانيين والصدوقيين فى انها لا تؤمن الا بالاسفار الخمسة من العهد القديم بالاضافة الى سفر يوشع وسفر القضاه وتنكرما عداها ولاتعترف ايضا بالتلمود . وتختلف نسخة التوراه التى بين ايديهم فى كثير من نصوصها عن التوراة المعروفة لدى سائر اليهود .
وفرقة القرائين تعتبر أحدث الفرق اليهود بة اذتم تأسيسها على يدى عنان بن داود فى بغداد فى القرن الثامن الميلاد وفى عهد الخليفة العباسى أبى جعفر المنصور . وأتباع هذه الفرقة لا يؤمنون بالتلمود ويكتفون بالعهد القديم . وقد وفقنى الله فى اعداد دراسة من هذه الفرقة اثبت فيها اثر الحركات الاسلامية فى نشأه هذه الفرقة وكذلك تأثر القرائين بجوانب عديدة من الفقه الاسلامى خاصة فى قضايا الاحوال الشخصية والعبادات وهذه الدراسة تحت الطبع بمكتبة مدبولى بالقاهرة .
(٢) ولد مان ، المرجع السابق ، ص ٢٧ .

ذى الشراريب الذى يلبسه المتدينون والمزوزة (ما يضعه اليهود على عضادة باب البيت) والنفخ فى البوق فى رأس السنة ، كما انهم لا يعرفون اللغة العبرية (اللغة المقدسة لدى سائر اليهود) على الاطلاق كتاب وقراءة ، بالاضافة الى تسرب عادات وتقاليد الجوييم (غير اليهود) الى روح معتقد اتهم اليهودية بتأثير من البيئة المحيطة .

من نصوص الفلاشا المقدسة باللغة الجعزية

وتشير المصادر اليهودية(١) الى ان اركان الدين اليهودى عند الفلاشا لم تتغير أو تتبدل فهم يؤمنون بالله الواحد ، اله اسرائيل ، واختيار شعب اسرائيل والوصايا التى أعطيت لموسى على جبل سيناء ، والثواب والعقاب ، والعالم الآخر ، وجنة عدن ، وجهنم ، والبعث والنشور ، ومجىء المسيح الذى يسمونه تيودروس آخر الزمان .

ولا يعرف شروح الوصايا وأمور الدين فى طائفة الفلاشا سوى الكهان ومساعديهم والمقربين لهم من المسنين ، ولا يملك الكهان سوى اليسير من الكتب المقدسة وكتب الصلوات .

ثانيا : الصلاة والكنيس :

تتركز الحياة الدينية للفلاشا حول المسجيد او «البيت المقدس» وهو الكنيس الذى يبذل ابناء الفلاشا جهدهم من أجل جعله اكثر تبجيلا واحتراماً عن سائر الاكواخ فى القرية وهو بنقسم بوجه عام الى قسمين ، الداخلى منه هو قدس الاقداس ، وفيه بدخل الكهان ومساعدوهم حيث يضعون التوراة التى يسمونها هاوريت .

وقبل الولوج للكنيس يجب نزع الاحذية ، واذا كان الكهان يغطون رءوسهم فان باقى الداخلين الى الكنيس لا يلتزمون بذلك . وليس هناك حجرة خاصة للنساء المصليات وانما يخصص لهن مكان منعزل فى الجانب او خلف أى حاجز .

---

(١) المرجع السابق .

الكنيس عند الفلاشا

ويتجه المصلون فى صلواتهم الى القدس ، وتصاحب الصلوات رقصات خاصة وحركات بالايدى وسجود وغناء جماعى باللغة الجعزية التى يعرفها الكهان ومساعدوهم ، وتتلى الصلوات شفاهة ، وأحيانا من الكتب وبخاصة عندما يكون المصلون المشاركون سلبيين .

وهناك ثلاث صلوات فى اليوم : صلاة السحر وهى بعد طلوع الفجر وقبل الخروج الى العمل ، والثانية فى منتصف اليوم تقريباً والاخيرة بعد غروب الشمس وعندما يقترب الظلام . ولا يحضر هذه الصلوات فى الغالب غير المسنين والذين لاعمل لهم فى هذه الاوقات .

اما ايام السبت والاعياد ففيها صلوات اضافية يحضرها ابناء

الطائفة جميعا .

ويستخدم « المسجيد » كذلك لاقامة شعائر أخرى كتفسير الكاهن للشرائع أو للقراءة فى التوراة .

كما أن هناك صلوات أخرى عديدة قصيرة تتعلق بمناسبات معينة مثل الصلاة السابقة للوليمة واللاحقة لها ، واستقبال الضيف ووداعه وذكرى الاموات والختان والزواج وغيرها .

وجدير بالذكر ان الصلوات والتبريكات المعروفة لدى طوائف اسرائيل التى اسسها الاحبار منذ بداية الهيكل الثانى ووضعوا نظمها ، والتى تشمل ايضا بعض الانظمة الخاصة بها غير معروفة على الاطلاق بين الفلاشا .

وقد ترجم المشترق اليهودى يوسف هاليفى عام ١٩٧٧ الصلوات الفلاشية الى العبرية وهى تختلف تماماًعن الصلوات اليهودية المعروفة ، الامر الذى جعل البعض برون فى الفلاشا رافدا من روافد الكنيسة النصرانية الحبشية ، ويؤكد زعمهم هذا وجود صلوات فلاشية لا تمت بصلة ما الى الكتب المقدسة اليهودية(١) .

ثالثا : يوم السبت عند الفلاشا :

السبت هو عيد اليهود الاسبوعى ، يقدسونه لان الرب قد استراح فيه بعد أن خلق العالم ، ويبدأ وقته من غروب شمس الجمعة الى غروب شمس السبت .

وتطالعنا نصوص العهد القديم بتوضيح حقيقة السبت وهى تبرر ما

---

(١) قشانى ، المرجع السابق ، ص ٢٩ .

يليها من نصوص توجب تقديسه والمحافظة عليه :

« فأكملت السموات والارض وكل جندها وفرغ الله فى اليوم السابع من عمله الذى عمل ، فاستراح فى اليوم السابع من جميع عمله الذى عمل وبارك الله اليوم السابع وقدسه لانه فيه استراح من جميع عمله الذى عمل الله خالقا » تكوين ٢ :١-٣ .

فمناسبته اذن انتهاء الرب من عملية الخلق .

وسبب تقديسه انه راحة للرب .

ونحن لا نناقش المفاهيم اليهودية هنا من منظور اسلامى ، وانما نقدم فقط لتوضيح حياة الفلاشا ، فلا يلومننا احد على السكوت فى هذا الموضع وامثاله عن التعليق أو النقد اذ قد يبعدنا مثل هذا العمل عن الغرض المطلوب ايضاحه .

وقد خلع اليهود على هذا اليوم من خلال نصوصهم اسماء وصفات عديدة : فهو السبت واليوم السلبع وسبت الراحة (شبات منوحا) والسبت المقدس (شباب قودش) وسبت السلام (شبات شالوم) والسبت الملكة (شبات هملكا) وافاض علماء التلمود فى السبت واحواله ومتطلباته وليس هناك دلبل على عظم يوم السبت واهميته فى الفكر الدينى اليهودى أوضح من وروده ضمن الوصايا العشر، لب اليهودية وجوهرها .

«اذكر يوم السبت لتقدسه ستة ايام تعمل وتصنع جميغ عملك . واما اليوم السابع ففيه سبت للرب الهك . لا تصنع عملا ما انت وابنك وابنتك وعبدك وامتك وبهيمتك ونزيلك الذى داخل ابوابك . لانه فى ستة ايام صنع الرب السماء والارض والبحر وكل ما فيها واستراح فى اليوم

السابع . لذلك بارك الرب يوم السبت وقدسه ، » خروج ٢٠ : ٨ -١١
«احفظ يومَ السبت لتقدسه كما ارصاك الرب الهك ، ستة أيام تشتغل وتعمل جميع اعمالك ، واما اليوم السابع فسبت للرب الهك لا تعمل فيه عملاً ما انت وابنتك وعبدك وامتك وثورك وحمارك وكل بهائمك ونزيلك الذى فى ابوابك لكى يستريح عبدك وامتك مثلك ، واذكر انك كنت عبداً فى أرض مصر فأخرجك الرب الهك من هناك بيد شديدة وذراع ممدودة . لأجل ذلك أوصاك الرب الهك ان تحفظ يوم السبت » تثنية ٥ : ١٢-١٥

هذان النصان الواردان فى الوصايا العشر ، يركزان بصورة واضحة على اهمية السبت واسباب تقديسه وواجبات اليهود فى ذلك اليوم .

والنص الاول الوارد فى سفر الخروج والبادىء بكلمة « اذكر» يفيد أن هذه الوصية كانت قبل اعطاء الشريعة ، فسائر الوصايا تختلف فى صيغة الامرالالهى ، وهذه هى الوحيدة من بينها التى استهلها الرب بكلمة «اذكر » والامر بالذكرى يفيد سبق الامر بالعمل ، اى بتقديس السبت(١) .

ويستشف من النصين السابقين ثلاثة ابعاد ليوم السبت تعكس مفاهيم ثلاثة هى المفهوم التعبدى والذى يحاكى فيه المرء الهه وربه ،

---

(١) انظر القمص صليب سوريال . دراسات فى اسفار موسى الخمسة ، مكتبة - الكنيسة الارثوزوكسية ، القاهرة ١٩٦٧ ، ص ٢١٨ . انظر كذلك ولالات « اذكر واحفظ » فى الوصايا العشر ، فى : الوصايا العشروروؤية الاجيال لها ، اعداد بن صهيون سيجل ، القدس (بالعبرية) ١٩٨٥ ، ص ١٤٩ وما بعدها .

فعليه ان يستريح كما استراح الرب ، والمفهوم الاجتماعى الانسانى المتمثل فى منح الراحة التامة ليس لليهود فحسب وانما لكل القائمين فى المجتمع اليهودى من انسان وحيوان ، وأما المفهوم الثالث فهو التحرر من العبودية المصرية وخروج بنى اسرائيل ، فكأنهم جعلوا يوم السبت راحة للمضطهرين والمظلومين وهم الذين لم يجدوا يوما راحة من معاناتهم وعبود يتهم فى مصر (١).

ويستشف من النص الاول أن السبب فى تقديس السبت هو سبب عام لكل الخلق ، فهو بدء الخليقة منها وما استلزمه ذلك من استراحة الرب .

أما النص الثانى فيضيف خصوصية يهود ية لتقديس هذا اليوم ، اذ من موجبات حفظه وتقديسه ، مرحلة العبودية التى عاشها اليهود فى مصر ، وفضل الله على بنى أسرائيل بتخليصهم ونجاتهم من فرعون ، فهناك ربط بين حفظ السبت وقدسيته وبين حياة اليهود فى مصر ، فالراحة من علامات الحرية · فالعبد لايعرف طمعا للراحة بينما يعمل الحر ويستريح · بل ان تحديد يوم الراحة فيه تصريح واعلان بحرية الشعب كافة ، فى أن يكون له الحق فى الراحة ، وهذا ما لا يتوفر للعبد ·

ان يوم السبت بما جاء فيه من نصوص مقدسة قد لفت انتباه العديد من الباحثين والدارسين الذى تعقبوه وبينوا ما فيه

---

(١) انظربن صهيون سيجل ، المرجع السابق ، ص ٢٠٦ ، ٢٨٠ .

من دلالات ومفاهيم مختلفة[1] ، كما أفاضت دوائر المعارف اليهودية فى ذكر الطرائف والاساطير التى حيكت حول السبت وأهميته وجزاء المقدسين له ، وكيف أنه هبة عظيمة من الرب لبنى اسرائيل تفوق الوصايا العشر وكتب الشريعة وقدس الأقداس[2] ٠

هذا عن يوم السبت عند اليهود عامة ٠

فماذا عن سبت الفلاشا ؟ :

حافظ الفلاشا بحرص شديد على يوم السبت ٠ وهم يعدون العدة لهذا اليوم ابتداء من يوم الخميس السابق له ، حيث يغسلون ملابسهم ويغتسلون ويعدون الطعام بعد غطاسهم فى النهر أو عين المياه المجاورة لهم ، وتتوقف جميع الاعمال أبتداءاً من يوم الجمعة حيث يتم تنظيف وترتيب كل البيت وارتداء ملابس السبت .

وقبل غروب يوم الجمعة تطفأ النيران فى البيوت ، اذ من المحظور اشعال النار للطهى ومن ثم يؤكل الطعام فى الظلام بأردأ دون تسخين ، ويكون الاكل فى جماعة تقرباً الى الرب ، ومن المحظور تماماً أن يعمل الرجل أى عمل ، فهم لايقربون نساءهم ولايجلبون المياه ولايختنون أطفالهم ولايوقدون الشموع ، وان كانت هناك نيران خاصة توقد قبل السبت وتترك تخبو من ذاتها ومن ثم فهى تستمر بعض الوقت من يوم السبت ٠

---

(١) لمزيد من التفاصيل حول هذا اليوم انظر : محمد الهوارى ، السبت والجمعة فى اليهودية والاسلام . دار الهانى للطباعة ولنشر والتوريع ، القاهرة ط١ ، ١٩٨٨ .

(٢) انظر دائرة المعارف اليهودية العالمية ، ص ٢٩٥ ، ودائرة المعارف اليهودية (جودليكا) المجلد ١٤ ، القدس ١٩٧٣ ، ص ١٩٧٣ ، ص ٥٦٣ وما بعدها .

وتبدأ صلاة دخول السبت بعد غروب شمس الجمعة ، ويأتى اليها كل أبناء القرية ، ويتبادولون التحية الشهيرة « سنبات سلم » أى شبت شالوم .(١)

وفى الصباح الباكر يسارع الكهان والمسنون الى صلاة السحر بينما ينضم اليهم سائر الجمهور فى وقت لاحق ، وبعد الصلاة تعد وليمة جماعية ، تشارك فيها كل أمرأة بخبز خاص يتم ، تجهيزه من قبل السبت ، وشراب يشبه البيرة ، ثم تحضر النساء الى « المسجيد » ، وبعد الصلاة يبارك الكهنة الخبز ثم يقطعونه بشكل مميز ويأكل أبناء الاسر معاً فى سعادة وبهجة وسرور ، وينصرفون بعد ذلك ٠

وتقام على مدى يوم السبت صلوات أخرى اضافية ، كما تعد الولائم ثم يحين وقت القراءة فى التوراه ، كل منطقة بلغتها ٠

وتقسم سبوت السنة الى مجموعات . كل مجموعة من سبعة سبوت ، والسبت السابع له مزيد من الصلوات والاحتفالات ، ويندر ان تجد من يخرق قوانين السبت أو يدنسة بعمل من الاعمال ، ومن العجيب أن يتم تهجير الفلاشا الى أسرائيل يوم سبت ، واستجابتهم لذلك ، الامر الذين يوحى بتناقض واضح فى بعض جوانب الشخصية الفلاشية٠

---

(١) قشانى ، المرجع السابق ، ص٢٣ .

رابعا: التقويم والاعياد:

يحتفل الفلاشا بالاعياد الواردة فى التوراة ويضيفون اليها العديد من الاعياد الاخرى وفق تقاليدهم وأعرافهم .

كما أن مواعيد أعيادهم واحتفالاتهم تسير وفقاً للتقويم المتبع بين يهود الحبشة والذى يعتمد على الشهور القمرية بالاضافة الى استخدامهم للتقويم العام للبلاد . وربما انتقل التقويم القمرى اليهم عن طريق أخوانهم القرائين حيث كانت هناك اتصالات بينهم وأعترف الباحثون المتبعون لتاريخ الفلاشا بوجود تشابه بين الفلاشا والقرائين فى نقاط عديدة . ونذكر هنا أن القرائين قد أخذوا التقويم القمرى المعمول به بين المسلمين وعلى عكس ما يسير عليه غالبية اليهودية .

ولايعرف الفلاشا مطلقاً التقويم العبرى السائد فى اسرائيل ، ولايعتدون باحتساب التقويم منذ خلق العالم وانما يبدأ تقويمهم وفق حسابات خاصة بهم بالاضافة الى أختلاف الفصول والمواسم لديهم عما فى أسرائيل .

أما أسماء الشهور فقد احتفظ الفلاشا ببعض الاسماء العبرية مع تحريف فيها مثل ليسان (نيسان) ، تومس (تموز) ، لول (الول) وتهسرين (تشرى) .

وأبرز الاعياد(١) التى بحتفل بها الفلاشا مايلى :

---

(١) المعلومات الواردة فى مقارنة الاعياد بنظيرها عند الربانيين وسائر اليهود يرجع فيها الى Chaim PearL and Reuben Brookes, A Guide to Jewish Knowledge, London I978 .

رأس السنة :

وهو اليوم الاول من الشهر السابع نيسان ويسمونه يوم شروق النور ، ويحتفل به سائر اليهود فى الاول من شهر تشرى وينفخون فى البوق ضمن احتفالاتهم لكن الفلاشا لايقومون بهذه الشعيرة ولايعرفونها ·

ويستمر هذا العيد لمدة يوم واحد كحكم التوارة وفيه لايجوز عمل شىء الا ماكان مرتبطاً باعداد الاكل كجمع الثمار والطهى.

يوم الغفران :

تعتبر الايام الواقعة بين رأس السنة ويوم الغفران أيام توبة وتسامح ، وقد اعتاد الكهنة والمسنون صوم هذه الايام . أما يوم كيبور فيسمونه « بعل استراى» وهو يوم صوم للجميع بما فى ذلك الاطفال من سن السابعة ، من الغروب الى الغروب .

ومع دخول يوم كيبور يطلب كل فرد من أخيه العفو والتسامح ويقضون معظم المساء فى الصلوات وتذكر الموتى ، ويعمد الفلاشا الى تعذيب أنفسهم أستناداً الى ماجاء فى نصوص التوراة لديهم ومن ثم فانهم لاينامون طيلة هذه الليلة من أجل ارهاق أنفسهم وايلامها ويقوم الفلاشا فى هذا اليوم بالقاء البذور والحبوب للعصافير أحياء لذكرى الاموات وكعلامة على تقبل الله لدعائهم وصلواتهم .

وفى نهاية اليوم تحضرا لنساء الطعام والشراب الى «المسجيد» حيث تمتد الوليمة الى ساعة متأخرة .

أما سائر اليهود فانهم يحتلفون بهذا العيد فى ليلة العاشر من شهر تشرى .

عيد المظال :

فى الخامس عشر من الشهر السابع ويسمونه «بعل مصلات» أى عيد الظل ويستمر ثمانية أيام وتبنى فيه المظال قريبة من البيت والكنيس ، وفى الاماكن التى لايبنون فيها هذه المظالى تقوم مقامها البيوت الدائمة والتى بنيت أساسا من فروع الاشجار اذ تعتبر فى حكم المظلة (السوكة) .

ولما كان هذا العيد عيداً للحصاد والجمع ، فان الفلاشا يأخذون معهم الى الكنيس العديد من المحاصيل كالذرة وغيرها حيث يباركها الكاهن . وقد تغيرت ملامح هذا العيد عما هو سائد بين سائر اليهود .

ولايعرف الفلاشا يوم سمحت توراة ولاعيد الحنوكاه .

البوريم :

بالرغم من وجود أيام البوريم فى سفر أستير ضمن الكتب المقدسة لدى الفلاشا فانهم لايحتفلون بها كما يفعل سائر اليهود فى الرابع عشر من آدار . وهناك من بين الكهنة من يعلل ذلك بأن مالاقوه من اضطهادات وما مروا به من صعاب لم يدع لهم فرصة للاحتفال بهذه الايام .

ومن ناحية أخرى يصوم الكهنة والمسنون ثلاثة أيام (يأكلون

فى المساء) ، كذكرى لما عانته أستير التى صامت بالفعل ثلاثة أيام .

وقد ضعف هذا التقليد فى الآونة الاخيرة بين الفلاشا .

عيد الفصح :

فى الرابع عشر من نيسان يذبح الفلاشا قربان الفصح على مذبح من الاحجار يوجد بجوار الكنيس ، ويحظر أكل ماهو مختمر وكذلك شرب البيرة لسبعة أيام الفصح (باسيكا) ولذلك يقومون قبل حلول الفصح بتنظيف أوحرق كل ماتبقى من المختمرات ويغيرون الآنية أو يعدون آنية جديدة للفصح ، كما لايشربون الا اللبن الطازج ويخبزون نوعاً خاصاً من الخبز يسمى (قيطا) يشبه ما يخبز فى أسرائيل .

وفى ليلة الخامس عشر يأكلون من الذبيحة التى تشوى على النار ويحرصون على عدم كسر عظامها ويقص الكهنة عليهم قصة الخروج من مصر .

وحكم أيام الفصح السبعة كحكم أيام المظال ، لاعمل فيها على الاطلاق ، ومع انتهائها يتم اعداد البيرة والخبز وقبل أن يأكلوا منها أويشربوا يتم اقتطاع جزء منها للكاهن .

عيد الاسابيع:

ويسمى عند الفلاشا (بعل ماثرار) أى عيد الحصاد ، ويحتفلون به فى اليوم الخمسين من صباح اليوم السابع للفصح ، وذلك تفسيراً لما جاء فى اللاويين ٢٣: ١٥ – ١٦

«ثم تحسبون لكم من غد السبت من يوم اتيانكم بحزمة الترديد سبعة أسابيع تكون كاملة والى غد السبت السابع تحسبون خمسين يوماً ثم تقربون تقدمه جديدة للرب .»

فى هذا اليوم ، الثانى عشر من الشهر الثالث ،يحضر الفلاشا الطعام الى الكنيس كى يباركه الكاهن . ويحتفل اليهود عامة بهذا العيد فى السادس من شهر سوان .

أعياد أخرى

هناك أعياد كثيرة يحتفل بها الفلاشا حيث يتوقف فيها العمل وتقام الاحتفالات الخاصة، ومنها على سبيل المثال :

أول كل شهر . حيث يتوقف العمل وتقام صلاة خاصة . فأول نيسان هو عيد نيسان يخبز فيه الخبز ويذبحون كبشاً ويقيمون الصلوات.

وفى اليوم العاشر من كل شهر يحتفلون بعيد العاشر ، احياء لذكرى يوم الغفران .

وفى اليوم الثانى عشر من كل شهر يحتفلون احياء لذكرى عيد الاسابيع .

وفى اليوم الخامس عشر من كل شهر يحتفلون احياء لذكرى عيد الفصح والمظال .

وفى اليوم الثانى عشر من الشهرالتاسع يحتفلون بعيد الحصاد الذى يوافق عندهم عيد الاسابيع الذى يحتفلون به فى الثانى عشر من الشهر الثالث . وهذا العيد يوافق موسم الحصاد

فى اثيوبيا

هذه الاعياد لاتحظى بالقدسية التى تتمتع بها الاعياد الاخرى، ولكن تعطل فيها الاعمال وتتلى فيها الصلوات .

وفى اليوم الثامن عشر من الشهر السادس يحتفل الفلاشا باحياء ذكرى الآباء ابراهيم واسحق ويعقوب ويتلون الصحف المقدسة الخاصة بهم والتى تتناول حياة هؤلاء جميعا .

ويحتفل الفلاشا احتفالاً غريباً فى اليوم التاسع والعشرين من الشهر الثامن (حشون) ويسمونه يوم (سجد) ويشارك فيه جمهور كبير حيث يجتمع أبناء القرى فى مكان واحد فى الصباح الباكر وهم صيام ، يصعدون الى رأس جبل يتقدمهم الكهنة وفى أيديهم التوارة (الاوريت) ، وبصاحب صعودهم سجدات عديدة على الارض ، ومع قمة الجبل يقف الكهنة ومن حولهم الناس يقرأون فى التوراة وبعض فقرات من أسفار عزرا وتحميا وغيرهما ، وتتلى الصلوات وترفع الابتهالات . ثم ينزلون بعد الظهر من على الجبل الى القرى ، فيذبحون ويأكلون وتتم الغبطة ويتراقص الحاضرون .

ويعلل الكهنة ذلك العيد بأنه يرجع الى أيام عزرا وتحميا حين اجتمع كل أبناء أسرائيل معا فى القدس وعقدوا عهداً بالصوم والمحافظة على التوراة والاختلاف عن الجوييم كما أن هذا العيد يرمز الى ذكرى تلقى التوراة على جبل سيناء .

جاء فى نحميا :

«وفى اليوم الرابع والعشرين من هذا الشهر (السابع)اجتمع بنو اسرائيل بالصوم وعليهم مسوح وتراب. وانفصل نسل

اسرائيل من جميع بنى الغرباء ووقفوا واعترفوا بخطاياهم وذنوب آبائهم وأقاموا فى مكانهم وقرأوا فى سفر شريعة الرب الههم ربع النهار وفى الربع الاخر كانوا يحمدون ويسجدون للرب ألههم « ٩ : ١ - ٣ ».

احتفال الفلاشا بيوم « سجد »

الصوم عند الفلاشا :

يشكل الصوم ركناً بارزاً فى الشرائع اليهودية بوجه عام وعند الفلاشا بصفة خاصة ويستخدم لفظ عبرى معناه « اذلال النفس» للدلالة على الصوم وما فيه من معاناة ومحاربة للنفس . وقد جاء ذلك واضحاً فى كثير من مواضع العهد القديم التى تشير فى نفس الوقت الى مناسبات عديدة يصومها اليهود اقتداءاً بها .

ففى المزمور الخامس والثلاثين ينسب لداود قوله :

« أما أنا ففى مرضهم كان لباسى مسحا . أذ للت بالصوم نفسى وصلاتى الى حضنى ترجع » ١٣ .

وفى المزامير أيضا :

« أبكيت بصوم نفسى فصار ذلك عارا علىّ . جعلت لباسى مسحاً وصرت لهم مثلا » ٦٩ : ١١ – ١٢ .

«ركبتاى ارتعشتا من الصوم ولحمى هزل عن سمن » ١٠٩ : ٢٤ .

وهذا المفهوم – مفهوم اذلال النفس بالصوم – قد ذكر أيضا فى سفر أشعيا حيث ورد فيه :

« أمثل هذا يكون صوم أختاره يوماً يذلل الانسان فيه نفسه ، يحنى كالأسلة رأسه ويفرش تحته مسحا ورمادا .... » ٥٨ : ٥

وللصوم فى اليهودية دوافع وأسباب منها :

١ – الصوم تكفيراً عن الذنوب والخطايا مثل صيام يوم الغفران أو يوم الاثنين اللاحق لعيد الفصح وعيد المظال .

وعند الفلاشا يكثر هذا الصيام . فهم يصومون كل أثنين وخميس من الاسبوع وهذا لا أصل له فى اليهودية وربما كان بتأثير من اختلاطهم بالمسلمين فى اثيوبيا ، وكذلك صيام أول كل شهر ، كما يصومون الايام العشرة الواقعة بين رأس السنة ويوم كيبور .

٢ – الصوم احياءً لذكرى بعض الاحداث التاريخية أو الاجتماعية

البارزة وذلك مثلما حدث لوفاة شأؤول وأبنائه الثلاثة فى حربه مع الفلسطينين :

«فأمسك داود ثيابه ومزقها وكذا جميع الرجال الذين معه . وندبوا وبكوا وصاموا الى المساء على شأؤل وعلى يوناثان ابنه وعلى شعب الرب وعلى بيت اسرائيل لانهم سقطوا بالسيف » صموئيل الثانى ١ : ١١ - ١٢ .

ويكثر الفلاشا من صيام الذكرى فهم يصومون تسعة أيام من أول الشهر الرابع تموز حزناً على تخريب الهيكل الاول واحتلال أورشاليم ، كما يصومون سبعة عشر يوما من أول شهر أب من أجل تدمير أورشاليم أيضا .

٣ - الصوم بناء على تعليمات كبار القوم أو الملك ، وقد فعلته ايزابيل زوجة أحاب ملك السامرة حيث كتبت الى قومها رسالة جاء فيها :

«ثم كتبت رسائل باسم أحاب وختمتها بخاتمه وأرسلت الرسائل الى الشيوخ والاشراف الذين فى مدينته الساكنين مع نابوت . وكتبت فى الرسائل تقول : نادوا بصوم وأجلسوا نابوت فى رأس الشعب .... ملوك أول٢١ : ٨ - ٩

ونجد عند الفلاشا كهانهم والمسنين من رجالهم يقودون أبناء الطائفة لصيام أيام محددة من الشهر(١) من الفجر وحتى الغروب ويستجيب الكثيرون لهم .

٤ - الصوم تضرعاً الى الله والتماساً للفرج منه . جاء فى نحميا:

---

(١) ولدمان ، المرجع السابق ، ص ، ٤ .

«وفى اليوم الرابع والعشرين من هذا الشهراجتمع بنو اسرائيل بالصوم وعليهم مسوح وتراب . وانفصل نسل اسرائيل من جميع بنى الغرباء ووقفوا واعترفوا بخطاياهم وذنوب أبائهم وأقاموا فى مكانهم وقرأوا فى سفر شريعة الرب الههم ربع النهار وفى الربع الاخر كانوا يحمدون ويسجدون للرب الههم « ١ : ١ - ٣ .

ويبرز الفلاشا بهذه المناسبة صومهم ليوم « سجد » فى التاسع والعشرين من الشهر الثامن (حشون) ، حيث يصومون جزءا من النهار ، خلال وجودهم على الجبل ، ثم يفطرون بعد نزولهم وأدائهم للابتهالات والضراعة الى الله .

والحديث عن الصوم عند اليهود ، أسبابه ودوافعه ، قد أفردت له دارسات مستقلة(١) وقد اكتفيت فى هذا المقام بما أوردته للاشارة الى ماعند الفلاشا من صيام واذلال للنفس .

سادسا : الطعام الحلال (الكاشير)

يسعى الفلاشا الى تطبيق قوانين التوراة فيما يتعلق بالمأكولات والاطعمة وان اختلفت تفاصيل ذلك عما هو سائد بين اليهود.

فهم لايأكلون اللحم الا أذا ذبحه الكاهن أومن هو معد لذلك، ويتم الذبح من رقبة الحيوان أو الطائر ، وتوجه رأس الذبيحة وقت ذبحها تجاه أورشاليم ، ويتلو الكاهن قبل الاجهاز على الذبيحة تبريكات خاصة للرب يذكر فيها الوصايا .

---

(١) أنظر محمد الهوارى ، الصوم فى اليهودية - دراسة مقارنة - دار الهانى للطباعة والنشر ، القاهره ، ط١ ، ١٩٨٨ .

أما دم الذبيحة فيجمع فى حفزة بالارض ويغطى ، ويخرجون الدم من الذبائح بطريقة خاصة . فبعد سلخ الجلد يخرجون عروق الدم ، ويقسمون اللحم الى قطع صغيرة جداً ، يغمسونها فى الماء والملح ثم يشطفونها جيدا ثم يعلقون القطع وينشرونها حتى تجف ويضيع منها الدم المتبقى فيها .

الذبح عند الفلاشا

وهناك طريقة أخرى للتخلص من دم اللحوم وهى سمط اللحم بالماء المغلى ولا يأكل الفلاشا اللحم الا بعد طبخه أوشيه والا

أعتبر لحماً حياً . كما أنهم لايعرفون المصطلحات اليهودية الخاصة بالذبح تفصيلا ، وهم يحافظون على عدم طبخ اللحم مع اللبن ، ولايعرفون تفاصيل وأحكام ذلك لانها مما جاء على أيدى علماء التلمود ، ويعاملون لحوم الطيور معاملة تختلف عن سائر اللحوم.

ويعتبر طعام الجويم (غير اليهود) محرماً عليهم لنجاسة أصحابه فى نظرهم .

سابعا : النجاسة والطهارة :

تحتل قضايا النجاسة والطهارة مكانة بارزة فى حياة الفلاشا بوجه عام ، اذ يحترسون من كل نجاسة أو اتصال بنجاسة على نحو ما جاء التوراة ، ولعل هذا الحرص هو الذى دفع الفلاشا الى أن يقيموا قراهم على الانهار أو حول عيون المياه حتى تسهل عملية الطهارة ، ويعتبر غير اليهودى - فى نظر الفلاشا - نجساً ولايؤكل من أكله ولايمس ولايسمح له بدخول بيت اليهودى ، وقد ساعد ذلك على مزيد من عزلتهم وعدم اختلاطهم بغيرهم ، فلا يمكن لغير يهودى أن يدخل الى بيت اليهودى الا بعد الغطاس فى النهر المجاور للبيت .

ومن صور النجاسة المغلظة لديهم ، نجاسة الميت ، أى نجاسة من قام بتغسيل الميت أو دفنه أو حتى حمله . إذ يتعين على الفرد أن يجلس خارج القرية لسبعة أيام لايعود فيها الى بيته يتطهر فى اليوم الثالث واليوم السابع وينغمس فى مياه النهر .

وكان الكهان قد نهجوا رش الانسان المتنجس بنجاسة الميت بمياه مخلوطة برماد بقرة حمراء يتم حرقها بعد أن يقوم الكهان

بذبحها فى مناسك خاصة ، الا أن ندرة البقرة الحمراء وارتفاع أسعارها جعلهم يقلعون فى الاونة الاخيرة عن هذا التقليد .

وهذه المناسك لها أصل فى التوراه . فالإصحاح التاسع عشر من سفر العدد يقص علينا بوضوح كيفية الطهارة من نجاسة الميت على النحو التالى :

« من مس ميتا ميتة إنسان ما يكون نجا سبعة أيام . يتطهر به فى اليوم الثالث وفى اليوم السابع يكون طاهراً. وإن لم يتطهر فى اليوم الثالث ففى اليوم السابع لايكون طاهراً . كل من مس ميتا ميتة إنسان قد مات ولم يتطهر ينجس مسكن الرب . فتقطع تلك النفس من إسرائيل . لأن ماء النجاسة لم يرش عليها تكون نجسة . نجاستها لم تزل فيها .

هذه هى الشريعة . إذا مات إنسان فى خيمة فكل من دخل الخيمة وكل من كان فى الخيمة يكون نجسا سبعة أيام وكل اناء مفتوح ليس عليه سداد بعصابة فانه نجس . وكل من مس على وجه الصحراء قتيلا بالسيف أو ميتا أو عظم إنسان أو قبراً يكون نجساً سبعة أيام . فيأخذون للنجس من غبار حريق ذبيحة الخطية ويجعل عليه ماء حيا فى اناء ويأخذ رجل طاهر زوفا ويغمسها فى الماء وينضحه على الخيمة وعلى جميع الأمتعة وعلى الأنفس الذين كانوا هناك وعلى الذى مس العظم أو القتيل أو الميت أو القبر ينضح الطاهر على النجس فى اليوم الثالث واليوم السابع . ويطهره فى اليوم السابع فيغسل ثيابه ويرحض بماء فيكون طاهرا فى المساء . وأما الانسان الذى يتنجس ولايتطهر فتباد تلك النفس

من بين الجماعة لأنه نجس مقدس الرب . ماء النجاسة لم يرش عليه. انه نجس . فتكون لهم فريضة دهرية . والذى رش ماء النجاسة بغسل ثيابه والذى مس ماء النجاسة يكون نجسا إلى المساء « وكل مامسه النجس يتنجس والنفس التى تمس تكون نجسة إلى المساء » ١١ -٢٢

وفيما يتعلق بنجاسة المرأة ، فقد زادت التعقيدات عند الفلاشا عما هى عليه فى التوراه ، وهذه صورة لبعضها .

فاذا أحست المرأة أو الفتاة قبل الزواج بخروج دم منها ، تخرج فورا الى خارج البيت الى خيمة خاصة تسمى « خيمة اللعنة» أو « خيمة الدم » .

خيمة الدم

تجلس فى هذه الخيمة لسبعة أيام ، يقدم لها الاكل فى أوان خاصة يضعونها أمامها دون أن يمسوها ، وأحياناً فى غير أوان ، وتحاط الخيمة بألاحجار كحدود تمنع أى شخص من الاقتراب ، وفى السابع ، وبعد وقوف الدم ، تستعد المرأة للإنغماس فى النهر بقص شعرها فى بعض الاحيان وتقليم أظافرها وازالة أوساخها وغسل كل ملابسها . وعندما يأتى المساء تنغمس فى مياه النهر وتقف صديقاتها الى جوارها وهن يراقبنها فى المياه ، ثم تعود بعد ذلك الى منزلها .

أما المرأة الحامل ، فاذا ماشعرت بالمخاض تهرول الى خيمة الدم حيث تتم فيها الولادة وتجلس مع وليدها حتى اليوم الثامن لولادة الذكر وحتى اليوم الرابع عشر لولادة الانثى.

وفى اليوم الثامن لولادة الذكر ، يوم الختان ، تغتسل المرأة وتغسل ملابسها وتستحم فى النهر ثم تنتقل الى خيمة أخرى تسمى « خيمة الوالدة » لمدة أثنين وثلاثين يوما وحتى تكمل الاربعين .

أما التى تلد أنثى فتفعل أموراً مشابهة فى اليوم الرابع عشر ثم تنتقل الى خيمة الوالدة حتى اليوم الثمانين .

والأصل فى مضاعفة مدة النجاسة للوالدة حسب نوع المولود هوأصل توراتى ورد مفصلا فى سفر اللاويين على النحو التالى :

وكلم الرب موسى قائلا كلم بنى إسرائيل قائلا . إذا حبلت امرأة وولدت ذكرا تكون نجسة سبعة أيام . كما فى أيام طمث علتها تكون نجسة . وفى اليوم الثامن يختن لحم غرلته ثم تقيم

ثلاثة وثلاثين يوما فى دم تطيرها . كل شىء مقدس لاتمس وإلى المقدس لاتجىء حتى تكمل أيام تطيهرها . وإن ولدت أنثى تكون نجسه أسبوعين كما فى طمثها . ثم تقيم ستة وستين يوما فى دم تطيرها . ومتى كملت أيام تطيرها لأجل ابن أو ابنة تأتى بخروف حولى محرقة وفرخ حمامة أويمامة ذبيحة خطية إلى باب خيمة الاجتماع إلى الكاهن فيقدمهما أمام الرب ويكفر عنها فتطهر من ينبوع دمها هذه شريعة التى تلد ذكراً أو أنثى . وإن لم تنل يدها كفاية لشاة تأخذ يمامتين أو فرخى حمام الواحد محرقة والآخر ذبيحة خطية فيكفر عنها الكاهن فتطهر » ١ – ٨

وفى تمام الاربعين للمولود الذكر والثمانين للانثى يقام حفل الطهارة والغفران لها ولما ولدت وفى نفس اليوم تصوم الأم الى المساء ، وفى الصباح تذهب الى عين الماء أو الى النهر وتغسل ملابسها وتنغمس فى المياه ووليدها وأدواتها وملابسها أما هى نفسها فتنغمس فى المياه أربعين مرة متتالية عند ولادة الذكر وثمانين مرة عن ولادة الانثى .

وعند عودتها الى بيتها تقيم حفلاً لطهارتها فى البيت أو الكنيس ، ويتلو الكاهن ما يتيسر له من سفر أرادات (التلاميذ) ثم يرشها بالماء الطاهر الذى يحضرونه فى أوان فخارية جديدة ، كما يرشون الطفل وجدران البيت وأرضيته ثم تشرب الام والمولود من هذا الماء .

بعدها يضرب الكاهن الام – بعد أن تمدد جسدها ، ووجهها الى الارض – ثلاثة سياط : على الرأس خلف الفم ، وعلى الظهر خلف

القلب وعلى الرجلين ، ويصحب ذلك تراتيل وترانيم من الكاهن لاجل التوبة والغفران والطهارة .

ومع انتهاء الاحتفال ، تتم تسمية المولود ، وتحضر الام – على قدر أستطاعتها – عنزة أو طيراً أوعلى الاقل خبزاً وشراباً وبعض أنواع الاطعمة التى يتم أكلها فى حضور أهل القرية .

أما الاشجار التى صنعت منها خيمة الوالدة فيتم حرقها حتى لاتكون سبباً فى نجاسة أى شىء أخر .

وجدير بالذكر أن هذه الطقوس الغريبة هى من الامور المعتادة لدى نساء الفلاشا والتى بفعلنها دون خجل أو حرج [١] .

ثامنا : الختان :

يمثل الختان معلماً بارزاً من معالم اليهودية ، وقد جاء فى العهد القديم بمعنيين مختلفين أحدهما الختان الجسدى والثانى هو الختان القلبى .

أما الاول فقد جاء فيه :

« وقال الله لابراهيم وأما أنت فتحفظ عهدى . أنت ونسلك من بعدك فى أجيالهم هذا هو عهدى الذى تحفظونه بينى وبينكم وبين نسلك من بعدك . يختن منكم كل ذكر فتختنون فى لحم غرلتكم . فيكون علامة عهد بينى وبينكم . أبن ثمانية أيام يختن منكم كل ذكر فى أجيالكم وليد البيت والمبتاع بفضة من كل أبن غريب ليس من نسلك يختن ختاناً وليد بيتك والمبتاع بفضتك . فيكون

(١) انظر ولدمان ، المرجع السابق ، ص ٤٥ .

عهدى فى لحمكم عهدا أبديا . وأما الذكر الاغلف الذى لايختن فى لحم غرلته فتقطع تلك النفس من شعبها . انه قد نكث عهدى » تكوين ١٧ : ٩ - ١٤ .

والختان الثانى ، ختان القلب ، جاء فيه :

« فاختنوا غرلة قلوبكم ولاتصلبوا رقابكم بعد » تثنيه ١٠ :١٦

« ويختن الرب ألهك قلبك وقلب نسلك لكى تحب الرب ألهك من كل قلبك ومن كل نفس لتحيا » تثنية ٣٠:٦ .

وفى أكثر من موضع من سفر أرميا نجد أشارة الى ختان القلب :

« اختنوا للرب وانزعوا غرل قلوبكم يارجال يهوذا وسكان أورشاليم لئلا يخرج كنار غيظى فيحرق وليس من يطفىء بسبب شر اعملكم . . . » أرميا ٤:٥

« ها أيام تأتى يقول الرب وأعاقب كل مختون وأغلف . مصر ويهوذا وأدوم وبنى عمون وموآب وكل مقصوص الشعر مستديراً الساكنين فى البرية لان كل الامم غلف وكل بيت اسرائيل غلف القلوب » أرميا : ٢٥ - ٢٦ .

فختان الجسد علامة على العهد بين الرب والشعب ، وقد يكون سبباً فى الزعم بتميز هذا الشعب واختياره من قبل الرب . فهذا النسل المختار قد جعل العهد مع الرب فى « عضو التناسل » ومن ثم قطعت كل الانفس الغلف ، وخرجت من دائرة عهد الرب.

ولاهمية هذه الشعيرة فى حياة اليهودى يكفى أن نشير الى أن اليهود لا يزوجون بناتهم للرجل الاغلف (أنظر سفر التكوين ، الاصاح ٢٤ وقصة أبناء يعقوب مع شكيم بن حمور) وكذلك فان الاغلف لايصنع قصحا للرب بل لا يأكل منه :

« وقال الرب لموسى وهارون هذه فريضة الفصح . كل ابن غريب لايأكل منه . ولكن كل عبد رجل مبتاع بفضة تختنه ثم يأكل منه » خروج ١٢ : ٤٣ - ٤٤

« كل جماعة اسرائيل يصنعونه . واذا نزل عندك نزيل وصنع فصحا للرب فليختن منه كل ذكر ثم يتقدم ليصنعه فيكون كمولود الارض . وأما كل أغلف فلا يأكل منه » خروج ١٢ : ٤٧ - ٤٨

أما أسباب الختان ودوافعه عند اليهود فقد أوضحها أحد الباحثين فى دراسة مقارنة عن الختان فى اليهودية والمسيحية والاسلام(١) ويمكن أيجازها فيما يلى :

١ - أسباب صحية ، أذ أنه وقاية من أية أحتمالات مقبلة للاصابة بسرطان عضو الذكورة الذى ينجم غالباً عن بعض الافرازات تحت القلفة أو احتباس البول .

٢ - أسباب تعبدية ، اذ هو فى رأى البعض نوع من أنواع القرابين . فقد اعتادت بعض الشعوب القديمة على تقديم قرابين بشرية للالهة ، ثم اعتقدوا فى مرحلة متأخرة بالاكتفاء بجزء من جسد الانسان لا كله .

---

(١) محمد الهوارى ، الختان فى اليهودية والمسيحة والاسلام ، دار الهانى للطباعة والنشر ، القاهرة ط١ ، ١٩٨٧ ، ص٣٦ وما بعدها .

وأيا كانت الاسباب اليهودية ، فهناك العديد من الامم والشعوب التى عرفت الختان وطبقته قبل اليهود بمراحل ومنهم المصريون القدماء الامر الذى جعل كثيراً من الباحثين من أمثال برستد وفرويد يقرون بأن موسى - عليه السلام - الذى نشأ فى مصر وكبر بين شعبها قد أخذ هذه العادة وألزم بها قومه [١] . الا أن النصوص اليهودية المقدسة تشير الى أن فرض الختان على بنى اسرائيل كان فى سيناء بعد الخروج :

« وكلم الرب موسى قائلا . كلم بنى أسرائيل قائلا : اذا حبلت أمرأة وولدت ذكراً تكون نجسة سبعة أيام . كما فى أيام طمث علتها تكون نجسة . وفى اليوم الثامن يختن لحم غرلته . » سفر اللاويين ١٢ : ١ -٣

فأمر الرب بالختان كان لموسى فى سيناء حسبما يشير النص السابق وليس هناك مايمنع ممارسة اليهود له من قبل هذا الامر . فابراهيم عليه السلام قد أختتن أمتثالاً لامر الرب وعلامة للعهد ، وقد يكون الامر الربانى لموسى تجديداً وتذكيراً وتأكيداً على الامر السابق لابراهيم عليه السلام وليس بداية لشعيرة لم يعرفها أو يطبقها اليهود من قبل الخروج .

ولما كنا لسنا بصدد الحديث عن الختان ذاته فيكفى ما ذكرناه لتوضيح أهمية هذا الامر بالنسبة لليهود بوجه عام .

ولقد حافظ الفلاشا على عملية الختان ، وتتم عادة فى اليوم الثامن من الولادة حسبما ذكر فى النصوص المقدسة الا أنهم

---

(١) المرجع السابق ، ص٣٨.

يؤجلونه لليوم التاسع اذا كان الثامن سبتاً على الرغم من أن اليهود عامة لا يؤجلون الختان إذا وافق يومه السبت أويوم الغفران أو اى يوم مقدس أخر . فالختان لايفسد قداسة السبت ، فهو عبادة ، وتعظيم السبت عبادة أيضاً ، ولاينبغى تأجيل الختان على الاطلاق وان كان فقهاء اليهود قد أجا زوا ذلك اذا لم تسمح ظروف الوليد الصحية بأدائه .

وتتم عملية الختان عند الفلاشا فى خيمة الدم ، حيث تجلس فيها الوالدة لقضاء فترة نجاستها التى أشرنا أليها من قبل . وتقوم أمرأة احيانا بأجراء عملية الختان ، حيث يلتف الرجال حول الخاتن ويقف الكاهن على بعد محترساً من الاقتراب من الخيمة .

ولا تصاحب الختان ضجة وفرحة كتلك المصاحبة لعملية طهور الوالدة فى اليوم الاربعين أو الثمانين من ولادتها .

وأثناء القيام بختان المولود ، يقوم الخاتن بتلاوة تبريكات وتراتيل تذكر بختان ابراهيم وأباء الامة ، ويقرأ شفاهة الوصايا العشر ، ويذبح فى نفس الوقت طيراً ، ويلطخ من دمه مكان الختان ثم يتلو بعض الصلوات .

ويعتبر الخاتن نجساً بصفة عامة لملامسته للمولود .

كما يعتبر الفلاشا من لم يختن نجسا وشبيها بالجوييم (غير اليهود) .

تاسعا : الفلاشا : زواجهم وطلاقهم.

يلعب الزواج فى اليهودية دوراً هاماً منذ بداية تاريخها لانه يبنى عليه العديد من القضايا الاخرى التى أصبحت فى يومنا

هذا سياسية أكثر منها دينية . فتحديد هوية اليهودى وحقه فى العودة الى أرض الميعاد يتعلق بكونه يهودياً خالصاً أو لام يهودية . أى أن الزواج هنا يحدد الانتماء الوطنى والقومى .

وهو يلعب كذلك دوراً بارزاً فى قضية نقاء العنصر اليهودى الذى بنيت عليه عقيدة الاختيار الالهى لشعب اسرائيل ومن ثم لاينظر اليهودى الى الزواج نظرة الاخرين له ، بل يعتبره بمثابة أمر ألهى مقدس (١).

وليس لدينا من المعلومات مايوضح لنا الموقف العقيدى الفلاشى من الزواج أذا ما كان يتفق والمفهوم اليهودى العام أم يختلف ، وربما نستطيع أن نستشف شيئاً من خلال عرض موجز لمراسيم الزواج بين الفلاشا .

فالشاب الفلاشى ، أذا مابلغ الثامنة عشرة فى الغالب ، يبدأ فى البحث عن فتاة مناسبة ، حيث يقوم الوالدان بهذه المهمة بين فتيات القرية أو القرى المجاورة ويختارا له فتاة لايقل عمرها عن ثلاثة عشر عاما ، ثم يقوما بأجراءات الخطوبة فيقدمان الجواهر والهدايا للفتاة بعد أن يباركها الكهنة وكبار القرية .

وبعد فترة من الزمن ، قد تمتد سنوات ، يتم تحديد موعد الزواج ، ويحتفل أهل الزوج ثلاثة أيام قبل الزواج فى خيمة أعدت خصيصاً لذلك ، ثم تبدأ مراسم الارتباط بين الزوجين .

والارتباط أو الرباط (وهو ما يسمونه بالكشيرا) خيط أو

---

(١) انظر Cohen, I., Jewish life in Modern Times, London, 1924 p. 37 and Moor, G,: Judaism, Vol . II, Cambridge, 1932, p. 119.

شريط ملون بلونين أو هو شريطان أحدهما أبيض والاخر أحمر يرمز الشريط الابيض الى طهر العريس وعفته ويرمز الاحمر الى العروس وطهارتها وعفتها (وبالتحديد الى دم بكارتها وعذريتها) . يضع الكاهن هذا الرباط عند قدمى العريس ثم يرفعه الى أعلى ماراً بركبتيه ثم قلبه ثم يربطه على جبهته وعندئذ يبدأ الكهنة والحاضرون فى الغناء والرقص تكريماً للعريس .

بعد هذه المراسم تذهب عائلة العريس - الذى يركب حصاناً أوبغلاً - الى قرية العروس ومعهم الهدايا لها .

وفى المقابل ، تقام فى قرية العروس خيمة كبيرة ، إلا ان العروس ذاتها تبقى وصاحباتها فى بيتها ، فاذا ما وصل ركب العريس بدأت الاحتفالات فى الخيمة .

وبعد التفاوض بشأن شروط الزواج أمام الحاضرين والشهود والكهنة تكتب وثيقة زواج تشبه « الكتوباه » عند سائر اليهود من ثلاث نسخ واحدة للعريس وأخرى للعروس وثالثة للكاهن الذى يقوم باجراء الزواج ، ويوقع الزوجان فى بيت العروس وكذلك اثنان من الشهود ثم يتلقى والد العروس الهدايا من العريس .

بعد التوقيع على الوثيقة تأتى العروس من بيتها الى الخيمة حيث العريس وكل المدعوين ، ويبارك الكاهن كلا من العروسين ويفترق والدا العروس عن ابنتهما فى حفل من التباكى (بلا دموع) ثم يخرج الزوجان الى قرية العريس حيث الاقامة الدائمة.

وبعد الوليمة التى تعد احتفالاً وابتهاجاً يجلس العروسان فى

بيت خاص ليتأكد العريس من بكارة زوجه ثم يزف البشرى الى جمهور الحاضرين ثم يبلغ والديها بذلك .

أما اذا لم تكن العروس عذراء ، فان العريس يقف أمام الحاضرين ليعلن ذلك وينتزع الرباط من على جبهته ، فاذا ثبتت صحة كلامه - بعد الفحص - تبعد الفتاه عنه ، وتمزق وثائق الزواج ويكتب لها كتاب طلاق .

وتستمر الاحتفالات لسبعة أيام بعدها يعود العروسان الى بيتهما وتبدأ الحياة الزوجية فى سيرها الطبيعى .

وفى حالة نشوب خصام ونزاع بين الزوجين ، تجرى محاولات للصلح بينهما عن طريق الكاهن وكبار رجال القرية ، فاذا لم تفلح تتم اجراءات الطلاق عن طريقهم أيضا .

فالكاهن والشهود الذين حضروا الزواج يجتمعون معا وبحضور الزوجين ثم يمزق الكاهن وثائق الزواج وتكتب وثيقة الطلاق من الرجل لزوجه تضم اسمى الزوجين والمكان والتاريخ وكتاب الطلاق ذاته الذى يبيح للزوجة أن تتزوج ثانية ممن تريد ، ويوقع الرجل والمرأة والكاهن والشهود على الوثيقة التى يسلمها الزوج بيده لمطلقته .

كما تكتب الزوج أيضا لزوجها كتاب طلاق تسلمه لزوجها . ولاتشهد الطائفة حالات زواج بين الاقارب ، وانما يتم الزواج من غير الاقارب من أبناء الطائفة أوعلى الاقل قرابة تبعد خمسة أجيال ، كما أنه من غير المسموح الزواج بأكثر من واحدة ولايعرف الفلاشا الزواج المختلط الذى مارسه كثير من اليهود

بخاصة فى أوربا [1] .

وليست لدينا ثمة تفاصيل موثوق بها يمكن الرجوع اليها بشأن تفاصيل الزواج والطلاق والترمل والميراث ، فمازالت طائفة الفلاشا تمثل لغزاً جديداً من الغاز اليهودية التى تتلون فى كل مجتمع تعيش فيه بلونه وأن حافظت على أصول يهودية فى شىء جوانب حياتها .

عاشرا : الدفن والحداد :

وأخر ماتوصلنا اليه من مظاهر حياة الفلاشا فى اثيوبيا هو ما يتعلق بالموت والدفن والحداد .

فاذا ما مات فلاشى يقوم أربعة من الرجال بغسل الميت قبل دفنه ، ويصلى عليه صلاة تسمى (فتح) ويعتبر القائمون بعملية الغسل نجسين لسبعة أيام ويجب عليهم البقاء خارج القرية ثم يسرع الاهل بدفن الميت فى ذات اليوم . ويصاحب الكاهن الجنازة والدفن بصلوات وتراتيل طلبا للمغفرة من الرب .

وبعد الدفن يعود أهل المتوفى الى البيت ، يجلسون على الارض سبعة أيام يستقبلون فيها المعزين والمواسين بالبكاء والنواح ، وأحيانا برقص جنائزى خاص ، ومن المعتاد أن تقدم القهوة للجالسين فى العزاء ، كما يقوم الجيران والاقارب باعداد الطعام لاهل الميت والمعزين .

---

(١) فشانى ، المرجع السابق ، ص ٢٧ .

واليوم السابع للوفاة هو يوم الذكرى ، كما تقام أيضا ذكرى مرور عام على الوفاة حيث تذبح بهيمة بهذه المناسبة .

أما المقابر فهى خارج القرية ، ويعلم القبر بكومة من الاحجار أو بغرس شجرة فوقه ، وليست هناك علامات معينة أو كتابة على القبر، كما أن هناك مقابر للاطفال وأخرى للكبار ، ويتم تحديد مكان القبر حسب رغبة أهل المتوفى ، وأحيانا يغرسون بعض الاشجار على قبور الكهنة والنساك.

ويمكن فى ختام الحديث عن يمهودية الفلاشا أن نبرز أهم الاختلافات القائمة بين الفلاشا وسائر اليهود على النحو التالى :

اعتاد الفلاشا رش الام وابنها بالماء الطاهر لتطيهرها ، وهو سلوك قديم كان الاسرائيليون يعرفونه الا أنه أبطل مع مر العصور ووجد تشجيعاً على احيائه بين الفلاشا على أيدى النصارى .

كما يقوم الفلاشا بختان بناتهم وهو أمر لم يرد ذكره تحليلاً أو تحريماً فى نصوص التوراة ولا يتزم به سائر اليهود .

ولايضع الفلاشا المزوزة (عضادةالباب) على ابوابهم ويختلف تقويمهم تماماً عما هو عند اليهود ؛ بل وتختلف معظمهم اسماء الشهور بالرغم من وجود تشابه معها ، وكان نتيجة لاختلاف التقويم أن اختلفت اعيادهم ومناسباتهم عما يجرى بين يهود البلدان الاخرى.

وحتى خمسين سنة مضت كانوا يقدمون القرابين للرب وقد ابطلوها بتأثير من المبشرين النصارى .

وقد اعتاد الفلاشا على عملية «الاعتراف» أمام الكهنة بخاصة قبل

الموت ؛ويرى البعض انها من تأثيرات النصرانية الحبشية التى تمارس مثل هذه المعتقدات الغريبة عن روح اليهودية[1] .

---

(١) قشانى ، المرجع السابق ، ص ٢٧ .

الفصل الثالث

الفلاشا وإسرائيل

أولا : الهجرة والهوية

الهجرة والهوية . قضيتان متلازمتان ترتبطان معا بجذر واحد فى الفكر اليهودى هذا الجذر هو الأرض . فمنه تنبثق كل المعايير ، وهو المشكل لثوابت الفكر ، وهو المجمع لشتات البشر ، وهو المفجر للأطماع التوسعية ، وهو الدافع للحروب والمعارك .

ويرتبط العديد من الديانات الحلولية الآسيوية بالأرض أو المكان حيث تنشأ وحدة دينية بين الارض والشعب حيث يحل الله فيهما ويوجد بينهما .

وهذا الجانب البارز من تلك الديانات ، يشبه الى حد كبير مانجده فى اليهودية التى بنيت فى أساسها على مفهوم وحدة الشعب بالارض ، بل وحدة الشعب المختار بالارض المختارة ومن ثم خلعت اليهودية الكثير من الصفات الدينية على الارض ، فهى الارض المقدسة « (زكريا ٢:١٢) وهى « أرض الرب » (هوشع ٩:٣) التى يقطنها الرب ، وهى « أرض الميعاد » التى وعد الله بها أبراهيم عليه السلام ليأخذها هو وشعبه (تكوين ١٣ : ١٥) ، وهى « أرض المعاد» التى يعود اليها الشعب تحت قيادة المسيح المنتظر ، وهى « الارض الجيدة» (تثنية ٦ : ١٨) التى حلف الرب أن يعطيها لبنى اسرائيل ، وهى الارض التى يرعاها الله (تثنية ١١ : ١٢) وهى

الأرض البهية (دانيال ١١: ١٦) ، بل هى مركز الدنيا بأسرها لأنها تقع فى وسط العالم كما يقف اليهود وسط الاغيار فى العالم ، وكما يشكل تاريخهم المقدس حجر الزاوية فى تاريخ العالم [١].

فاذا كان اليهود يرون فى أنفسهم أمة الكهنة بالنسبة لهذا العالم أذ جاء فى التلمود : « كما أن العالم لا يمكن ان يعيش بلا هواء ، فانه لا يمكن بدون اسرائيل . » (التلمود البابلى ، عبوده زاره ١٠/ب ، تعنيت ٣/ ب ، مدراش يلقوط على سفر زكريا ، ١٩٦٩) فان الأرض (فلسطين) هى المعادل الجغرافى لهذا التصور الوهمى .

والدين اليهودى مرتبط ارتباطاً وثيقاً بالارض ، فتعاليم التوراة لايمكن أن تتحقق بصورة كاملة وتامة الا فى «ارض » فلسطين ، فكأن السكنى فى هذة الأرض ركن من أركان الايمان ، ان لم تكن هى جوهر الايمان اليهودى على الاطلاق ويؤكد هذة المكانة ما جاء فى سفر اشعيا ٣٣:٢٤:

«ولا يقول ساكن فى الأرض أنا مرضت ، الشعب الساكن فيها مغفور الأثم » .

ان عبارة « الدين اليهودى » والتى أطلقت على الطقوس الدينية التى كان يمارسها السكان فى مملكة «يهودا » والذين تم سبيهم من أورشاليم الى بابل عام ٥٨٧ق٠م ، لم تكن معروفة قبل ذلك التاريخ فهى -كما يرى بعض الباحثين[٢] - عبارة ليست ذات مدلول وفحوى وانما

---

(١) لمزيد من التوضيح حول الأرض فى الفكر اليهودى انظر حسين فوزى النجار ، أرض الميعاد ، دار المعارف ، ١٩٨٥ ، ص ٨٥ وما بعدها .

(٢) انظر اسماعيل راجى الفاروقى ، أصول الصهيونية فى الدين اليهودى ، مكتبة وهبة ، القاهرة ، ط٢ ، ١٩٨٨ ، ص٧ .

هى جغرافية صرفة مثل عبارة « الدين الهندوكى» أى الدين المتبع فى الهند .

ان ارتباط الدين اليهودى التام بالارض هو تعبير آخر عن ارتباط المطلق (الدين)بالنسبى (المكان) الامر الذى يجعل أفكاراً مثل التسامى والجدل من المستحيلات فى الفكر الدينى اليهودى .

ولقد تضخم الحديث عن الفكر حتى نشأ ما يسمى بلاهوت الارض المقدسة وأصبحت الارض فى ذهن اليهودى فكرة وهوية وانفصلت عن أبعادها التاريخية ، ثم بدأ الجدل حول أهمية الأرض والعودة اليها فى الفكر اليهودى من خلال ظهور مذاهب حديثة تمثلت فى الفكر الاصلاحى الذى برز لمواجهة اليهود الارثوذوكس(١) الذين يتمسكون بالعلاقة الأزلية بين اليهودى وبين الأرض ، وزاد من هذه المواجهة الفكر الصهيونى الحديث الذى أحيا ثالوث اليهودية الحلولى المتمثل فى « وحدة الله بالشعب وبالأرض » .

وتمخض عما سبق أن بقيت حدود « أرض الميعاد» مفتوحة ،لاتعتمد على تاريخ محدود ، ولا حتى على جغرافية محددة .

فمن اليهود من يقول ان المقصود بأرض الميعاد ... فلسطين ، لأنها الأرض التى استقر فيها القدماء منذ عام ١٠٠٠ ق. م. تقريباً ، وفيها قامت دولتهم ، ومنها خرجت دعوة اليهودية .

ومنهم من وسع الحدود فأضافوا اليها شبه جزيرة سيناء زاعمين أن هذه المنطقة قد شهدت نزول التوراة على موسى عليه السلام .

---

(١) حول اختلافات هذه المذاهب انظر محمد خليفة حسن ، الحركة الصهيونية ، طبيعتها وعلاقاتها بالتراث الدينى اليهردى ، دار المعاريف ، ط١ ، ١٩٨١ ، ص ٦١ وما بعدها .

وآخرون سـولت لهم أنفسهم ابتـلاع مناطق أخـرى فأضـافوا الى ما سبق أجزاء من سوريا وغرب العراق بحجة أن هذه المناطق قد شهدت ذات يوم وجوداً يهودياً .

ولم يكتفِ بعض اليهود بالتهام المناطق السابقة وانما راحوا يضمون الى حدود أرض الميعاد أجزاءا من شمال مصر بزعم أن موسى عليه السلام قد نشأ فيها وان أبناء يعقوب عليه السلام قد عاشوا فيها فترة طويلة منذ زمن يوسف عليه السلام(١) .

وتأكيداً لما سبق يذكر هذا الفريق الاستيطانى ما جاء فى اسفارهم المقدسة من «تخطيط ربانى » للارض الموعودة:

« فى ذلك اليوم قطع الرب مع ابرام ميثاقاً قائلاً : لنسلك أعطى هذه الارض من نهر مصر الى النهر الكبير نهر الفرات »تكوين ١٥ : ١٨ «الرب الهنا كلمنا فى حوريب قائلا كفاكم قعود فى هذا الجبل .تحولوا وارتحلوا وادخلوا جبل الاموريين وكل ما يليه من العربة والجبل والسهل والجنوب وساحل البحر أرض الكنعانى ولبنان الى النهر الكبير نهر الفرات. انظر قد جعلت امامكم الارض . ادخلوا وتملكوا الارض التى أقسم الرب لابائكم ابراهيم واسحق ويعقوب أن يعطيها لهم ولنسلهم من بعدهم »تثنية ١ : ٦– ٨

«كل موضع تدوسه بطون اقدامكم لكم اعطيته كما كلمت موسى. من البرية ولبنان هذا الى النهر الكبير نهر الفرات جميع أرض الحثيين والى البحر الكبير نحو مغرب الشمس يكون تخمكم »يشوع ١ :٣–٤.

انظر :

(١) فتحى فوزى عبد المعطى ، المزاعم الصهيونية فى فلسطين ، سلسلة اقرأ رقم ٢٧٤ ، دار المعارف ، ١٩٦٥ ، ص٣٦ وما بعدها .

فالحدود وفق نص سفر يشوع مفتوحة حسب اقدام بنى اسرائيل ، فكل أرض داست عليها اقدامهم هى ملك لهم . هكذا أمر الرب اله بنى اسرائيل ، وهكذا يجب أن تكون حدود أرض الميعاد .

لهذه « العقدة » الكامنة فى النفس اليهودية ، نجد إسرائيل حالياً ، وبعد مرور أكثر من أربعين عاماً على قيامها ، دولة بلا حدود ، ولم يشر ما يسمى ببيان الاستقلال الى أية حدود لإسرائيل التى لم يكن لديها أدنى استعداد للالتزام بأية خطوط وضعتها الأمم المتحدة .

وراح حاخامات اسرائيل وزعماؤها يشرحون « الخرائط المقدسة » « للأرض المقدسة » فزعم الأولون أن الأرض كجلد الابل الذى ينكمش فى حالة العطش والجوع ويتمدد اذا شبع وارتوى ، فهى تنكمش اذا هجرها ساكنوها من اليهود وتتمدد وتنفرج اذا حشر اليهود فيها من شتى بقاع المعمورة .

وأما الآخرون ، الزعماء والساسة ، فقد أولوا تلك الخرائط تأويلاً اخر ، اذ نجد بن جوريون فى فترة حرب الاستنزاف بعد عام ١٩٦٧ يفسر « نهر مصر » على أنه نهر صغير فى العريش ، أما حينما يتحرك الجيش الاسرائيلى بقوة ، فأن للتوراة تفسيراً آخر، فالجيش الاسرائيلى – على حد قول بن جوريون – «خير مفسر للتوراة ، ومن ثم فهو خير مفسر للاهوت الأرض»

وقد أراح بن جوريون العالم من مشكلة حدود اسرائيل بقوله :

«ان حدود الدولة هى موضوع يخص الشعب اليهودى وحده ولايمكن لأى قوة خارجية أن تحددها له »(١) .

---

(١) Noam Chomsky , The Fateful Triangle, Boston , South End Press, 1983, p . 61

ولانريد أن نخوض فى هذا المقام تفاسير ومفاهيم الأرض فى الفكر اليهودى لأنها تستحق دارسة مستقلة ، ويكفى أن كلمة الأرض قد وردت فى الأسفار اليهودية المقدسة ما يقرب من ألف وخمسمائة مرة [١] ، ولكننا أوردنا ما أوردناه بغية اظهار أهمية « الأرض » فى الحياة اليهودية والتى ترتبط أرتباطاً مباشراً بقضية « الهجرة » وهى مايعنينا فى هذه المقدمة .

فكما شكلت « الأرض » عصب الفكر اليهودى ، فان « الهجرة» قد أعتبرت بمثابة العمود الفقرى للكيان الاسرائيلى فى فلسطين.

وللهجرة بعد تاريخى ساهم الى حد كبير فى تشكيل الشخصية اليهودية على مر العصور ، إذ يذكر سيسل روث أن السبى البابلى كان أول هجرة يهودية جماعية من فلسطين[٢]. كما أن خروج العبريين الجماعى من مصر ،وقدومهم اليها من قبل ذلك ، هما فى نظر البعض هجرتان جماعيتان على نطاق واسع .

وبين هذة الهجرات الواسعة النطاق فى التاريخ اليهودى نجد هجرات أخرى أقل فى حجمها مما سبق .

فعودة بعض الاسرائيليين على يدى الفارسى قورش ٥٣٨ق. م الى فلسطين هى هجرة ، وان كانت محدودة حيث فضلت الاغلبيةالبقاء فى فارس [٣].

---

(١) ابراهام ابن شوشان ، المعجم الجديد للعهد القديم (بالعبرية) كريات سيفر ، أورشاليم ط ٤ ، ١٩٨٢ ، مادة أرتس .

(١) Roth, Cecil, (ed) The Standard Jewish encylopaedia, Massadah Publishing Company, Jerusalem, 1962, p. 1317 .

(٢) Lilienthal, A., what price Israel ? Henry Regnery Company, chicago, 1953, p.3

وحين قضى الرومان على ثورة اليهودى بركوكبا عام ١٣٢م قاموا بارسال الأسرى اليهود الى روما – وهذه صورة من صور الهجرة فى الفكر اليهودى – وهرب منْ تبقى من اليهود الى مصر والعراق – وهذه صورة من صور الهجرة كذلك(١) .

ثم توالت الهجرات اليهودية الى العديد من مناطق العالم فانتقلوا من بابل الى كردستان وبلاد فارس ومنها الى القوقاز وتركستان والهند والصين (٢).

واستطاعات الصهيونية فى العصر الحديث أن تضرب على وتر الهجرة ، وربطت بينه وبين أرض الميعاد للوصول الى الهدف المنشود من وراء ذلك والمتمثل فى جمع الشتات اليهودى وحشرهم فى فلسطين ، لذلك تضمن برنامج تيودور هرتزل الذى تقدم به فى المؤتمر الصيهونى الاول الذى عقد فى بال عام ١٨٩٧ م النقاط التالية: (٣)

١- تشجيع الهجرة المنظمة بصورة مركزة ومكثفة الى فلسطين.

٢- السعى من أجل الوصول الى اعتراف دولى بشرعية الاستيطان اليهودى فى فلسطين .

٣- تكوين جمعيات يدعمها أغنياء اليهود من أجل تسهيل مهمة

---

(١) ول ديورانت ، قصة الحضارة ، ترجمة محمد بدران ، جـ٣ ، مجلد٤ ، ص٥

(٢) Patai, R. , Esrael Between East & West , The Jewish Publication Socity of America , Philadelphia , 1973 , pp. 13 - 14 .

(٣) انجلينا الحلو ، عوامل تكوين اسرائيل ، رسالة ماجستير نشرها مركز الابحاث التابع لمنظمة التحرير الفلسطينية ، بيروت ، ١٩٦٧ ، ص١٤ نقلا عن وليم فهمى ، الهجرة اليهودية فى فلسطين ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، ١٩٧٤ ص٢٠ .

هجرة « البروليتاريا اليهودية » الامر الذى يخدم فى النهاية مصالح أغنياء اليهود .

بل لقد حاول هرتزل اقناع غير اليهود بالمكاسب المادية المترتبة على هجرة اليهود زاعما أن الحكومات ستشترى املاك المهاجرين وتربح من ورائها ، كما أن عمليات نقل المهاجرين ستدر عليهم الربح الوفير ، بالاضافة الى فتح فرص جديدة لاحلال المسيحيين محل اليهود فى شتى الاعمال .(١)

وقد شهد القرن الحالى ، أى فى أعقاب المؤتمو الصهيونى الاول تطبيقا عمليا واسع النطاق لتعاليم هرتزل ودعوته ، بل لقد سبق التطبيق النظرية فوجدنا أول موجة من موجات الهجرة تبدأ فى عام ١٨٨٢ وتستمر حتى ١٩٠٣ وتضم مهاجرين من روسيا ورومانيا وبولندا وقد عدها المؤرخون أولى هجرات خمس كان لها أكبر الأثر فى قيام اسرائيل .

وجاءت الهجرة الثانية فى الفترة من ١٩٠٤ الى ١٩١٤ واشتملت على مهاجرين من روسيا وبولندا ، وأما الخامسة فهى من ١٩٣٢ الى ١٩٤٤ واشتملت على يهود من بولندا وألمانيا والنمسا وشيكوسلوفاكيا.

ومع قيام اسرائيل توالت موجات الهجرة ، اذ تضمن التصريح الخاص بانشاء دولة اسرائيل نداءاً موجهاً الى جميع اليهود من أجل حثهم على الهجرة الى أرض الآباء والاجداد جاء فيه :

---

(١) وليم فهمى ، المرجع السابق ، ص ٢١ .
انظر أيضا : Arthur Soul Super , The Story of Theodor Herzl , London , 1906, p. 85.

« نحن نوجه الدعوة الى كل اليهود فى سائر العالم لكى يجتمعوا حول يهود اسرائيل لمساندتهم فى مهمة تنظيم الهجرة والتنمية ... » .

وتأكيدا على مبدأ الهجرة ومايمثله من تدعيم لقيام اسرائيل صدر فى الخامس من يوليو ١٩٥٠ مايسمى بقانون العودة ونصت مادته الاولى على أن « لكل يهودى الحق فى أن يعود الى البلاد بوصفه مهاجراً » ورفعت كل قيد أوحظر عن الهجرة الى فلسطين.

ثم أقر القانون التشريعى الذى أصدره الكنيست الاسرائيلى فى ٢٤ نوفمبر ١٩٥٢ ، السياسة التوسعية الاستيطانية ، وقد تضمنت مواده مايلى :(١)

١ - « تعتبر دولة اسرائيل نفسها صنيعة الشعب اليهودى بأسره وتمشياً مع قوانينها تفتح أبوابها أمام كل يهودى يرغب فى الهجرة اليها .

٢- ان المنظمة الصهيونية العالمية منذ تأسيسها قبل نصف قرن قد سارت فى طليعة حركة الشعب اليهودى ومساعيه لتحقيق رؤيا الاجيال بالعودة الى وطنه وأخذت على عاتقها بمساعدة أوساط وهيئات يهودية أخرى عبء المسئولية الرئيسية فى اقامة دولة اسرائيل .

٣ - تنذر المنظمة الصهيونية العالمية - الوكالة اليهودية

---

(١) حسن ظاظا وآخرون ، الصهيونية العالمية واسرائيل ، الهيئة العامة للكتب والأجهزة العلمية ، القاهرة ، ١٩٧١ ، ص١٢٧ وما بعدها .
انظر أيضا : حسن ظاظا ، الشخصية الاسرائيلية ، دار القلم ، دمشق ، ط٢ ، ١٩٩٠ ، ص٢٠ - ٢٢ .

لفلسطين – نفسها كما فعلت فى الماضى لدفع عجلة الهجرة الى اسرائيل وتدير مشاريع الاستيعاب والاستيطان فى الدولة .

٤– تعترف دولة اسرائيل بالمنظمة الصهيونية العالمية على أنها الوكالة المخولة السلطات فى متابعة عملها فى دولة اسرائيل لتوطين البلاد وتطويرها واستيعاب المهاجرين من « الدياسبورا » وتنسيق أوجه نشاط المؤسسات والجمعيات العاملة فى هذه الحقول فى اسرائيل .

٥– ان مهمة جمع شمل المنفيين ، وهى الواجب الرئيسى لكل من دولة أسرائيل والحركة الصهيونية فى أيامنا هذه تتطلب من الشعب اليهودى فى « الدياسبوراً » الاستمرار فى بذل الجهود ولذلك تتطلع دولة اسرائيل صوب مشاركة جميع اليهود والهيئات اليهودية فى بناء صرح الدولة ومساعدة الهجرة الجماعية اليها وتعترف بالحاجة الى توحيد جميع الفئات والجماعات اليهودية لهذه الغاية » .

وشهدت السنوات التالية لقيام اسرائيل العديد من الهجرات الجماعية من شتى أرجاء العالم من بولندا ورومانيا والبلقان ويوغسلافيا واليمن والعراق ومصر والمغرب ثم أخيراً من الاتحاد السوفيتى والحبشة ، وتسعى حكومات اسرائيل الى جذب سائراليهود من دول أخرى كالهند وسوريا وغيرها ،الأمر الذى يؤكد حيوية الهجرة وضرورتها للوجود اليهودى فى فلسطين .

واذا كانت الهجرة الى فلسطين تحاول أن تتخذ طابعاً دينياً ، بمعنى تحقيق الحلم التوراتى والوعد الربانى بالعودة الى أرض الميعاد فان

الواقع يكشف زيف هذة الادعاءات ، فلم يكن لنغمة « أرض الاجداد » طرب فى آذان المهاجرين اليهود منذ زمن بعيد ،بل كانت أقل العوامل المساعدة على هجرة اليهود الى فلسطين .

فعلى سبيل المثال نجد أنه فى الفترة ما بين ١٨٨١-١٩٣٠ هاجر الى الولايات المتحدة ٣,٢ مليون يهودى وهاجر الى فلسطين فى نفس الفترة ١٢٠ ألف شخص فقط ، أقل من عدد المهاجرين الى أمريكا ٢٧ مرة .

أما توافد اليهود على فلسطين فى فترات معينة فانه يرجع لأسباب اقتصادية كالبطالة فى بولندا أوالاضطهاد فى روسيا والنازية فى ألمانيا(١) .

ومما يؤكد انعدام الدافع الدينى من قبل حكومات اسرائيل السابقة فيما يتعلق بالهجرة أن هذة الحكومات نهجت منذ عام ١٩٥٢ سياسة «اختيار المهاجرين » ولهذا قررت أن تكون نسبة ٨٠٪ من المهاجرين من الشباب المرشحين للعمل فى المناطق الزراعية ومن العمال المهرة ممن لايزيد عمرهم عن ٣٥ عاماً ، كما سمح ل ٢٠ ٪ من المهاجرين اليهود بالدخول الى فلسطين وهم ممن تزيد أعمارهم عن ٣٥ عاماً بشرط أن يكون لديهم عا ئلات أو أقارب فى اسرائيل يتعهدون بالانفاق عليهم أما الاغنياء من اليهود فلم يطبق عليهم شرط السن .

ولقد عمدت السياسة الاسرائيلية التهجيرية فى بداية الخمسينيات الى زيادة عدد السكان اللائقين للخدمة العسكرية ، وتشجيع الطبقة

---

(١) جالينا نكيتينا ، دولة اسرائيل : خصائص التطور السياسى والاقتصادى ، دار الهلال ، د. ت ، ص ١٦٣ .

المتوسطة على الهجرة الى البلاد مع تقليص ملحوظ لهجرة الفقراء .

ان عدد المهاجرين اليهود من البلاد الافريقية والاسيوية يمثل ٥٠ ٪ من مجموع المهاجرين منذ أن قامت اسرائيل فى الوقت الذى يمثل فيه عدد المهاجرين اليهود من بلاد أخرى وبخاصة الولايات المتحدة نسبة ضئيلة ، ووفقاً للاحصاءات نجد ان الهجرة من امريكا الى اسرائيل كانت تبلغ خمسين شخصاً لكل مليون يهودى فى أمريكا وتبلغ ٢٨٠٠ شخص لكل مليون يهودى فى البلاد الاخرى من العالم .

وهذه الاحصاءات تهدم اساساً من الاسس التى بنيت عليها الصهيونية والتى أشارت الى الهجرة كعودة الى أرض الاجداد .

كما تبرز ظاهرة أخرى تزيد من عمق فشل المشروع الصهيونى وهى ما يسمى بالهجرة المضادة أو النزوح ، أى الهجرة من اسرائيل .

وقد أوردت الكاتبة السوفيتية جالينا نيكيتينا فى بحثها عن خصائص التطور السياسى والاقتصادى لدولة اسرائيل احصاءات قيمة لفترات زمنية من تاريخ اسرائيل تشير بوضوح الى الهروب المتزايد للمهاجرين اليهود الذين خدعوا وضللوا والقى بهم فى اسرائيل (١).

ولكى نقف على حقيقة الموقف الرسمى الاسرائيلى من الهجرة بوجه عام يكفى أن نرجع الى ماذكره بن جوريون فى الكتاب السنوى الحكومى الاسرائيلى لعام ١٩٥٢ حيث قال :

« ان العامل الاول والقاطع لأمننا هو تلك الهجرة الجماعية الكبيرة » .

---

(١) انظر ، جالينا نيكيتينا ، المرجع السابق ، ص١٦٤ – ١٦٨ .

ثم قدم لنا تفسير تلك القاعدة العامة فقال :

«ان القرى والبلدان المقامة على الحدود بواسطة المهاجرين سوف تصبح أول حائط للدفاع عن الدولة الاسرائيلية ، حائط بشرى من لحم ودم وليس حائطاً من حجارة » .

هذا التفسير الاسرائيلى لاسباب الهجرة ينطبق على هجرة يهود الفلاشا من اثيوبيا حيث تعتزم السلطات الاسرائيلية توطينهم فى المناطق الحدودية ، وفى المناطق المحتلة من جنوب لبنان ليكونوا حائطاً بشرياً بالفعل أمام هجمات الفدائيين المتتالية ، ولصد أى هجوم قد تفكر فيه سوريا كذلك .

انها استراتيجية الهجرة الاسرائيلية الثابتة التى لا تتغير مهما البسوها من ثياب بالية كالاضطهاد ، وحقوق الانسان ، والعودة الى أرض الاباء والاجداد ، والا كيف يكمن لنا أن نبرر تهجير عشرات الآلاف من اليهود الروس وهم ملاحدة لا يعرفون اليهودية ولا أية ملة أخرى ؟ .

أهؤلاء يؤمنون بوعد الرب لبنى أسرائيل ؟

أهؤلاء يحققون نبؤات أنبياء أسرائيل ؟

ان نظرة سريعة على هجرة اليهود السوفيت تجعلنا نخرج بنتائج لا تقبل الشك ابرزها المساهمة فى حل المشكلات الاقتصادية والسكانية والاستيطانية للكيان الاسرائيلى عن طريق امداده بمجموعات ذات مستوى علمى راق وكفاءات يحتاج اليها هذا الكيان ، بالاضافة الى توطينهم فى الأراضى العربية المحتلة بهدف تكريس عملية الاحتلال وتحطيم الآمال العربية فى استعادة هذه الأراضى ، بالاضافة الى دعم سيطرة العنصر الاشكنازى على مجريات الامور فى اسرائيل وضرب

العنصر الشرقى الذى يمثل اغلبية عددية والذى يطمح الى تحقيق مكاسب سياسية على حساب اليمين الحاكم(١) .

ثم جاءت هجرة يهود الفلاشا ،موضوع هذة الدراسة ، متلائمة مع الاهداف الصهيونية بوجة عام ، فاسرائيل بحاجة فى هذا الوقت لعناصر بشرية تقوم بالاعمال اليدوية والمهنية المتدنية والتى يرفضها المهاجرون الاخرون ، كما أنها بحاجة لحوائط بشرية فى الجنوب اللبنانى ، وبحاجة كذلك لتكديس المستوطنات التى تقام كل لحظة ، وهذا كله يمثل جانباً من جوانب التكتيك الاسرائيلى ، حتى اذا ما أجبرت اسرائيل على التفاوض فانها تتفاوض على ما ليس لها أصلا ، فاذا تنازلت عن مستوطنة ما فى أرض عربية محتلة فان لهذا التنازل مقابلاً بالطبع . فهى - ان فعلت -ستعيد الأرض الى أصحابها وتحقق ماتريد لنفسها من وراء ذلك .

* * *

أماالشق الثانى من القضية المطروحة فى هذا المقام ، فهو مسألة الهوية ، بمعنى هل يمكن لنا أن نحدد : من هو اليهودى ؟

يتحدث اليهود عن جنسهم السامى المميز فى الوقت الذى تشهد فيه أسفارهم المقدسة - مثل يوشع وصموئيل والملوك - باختلاط اليهود بالشعوب الاخرى كالآراميين والحثيين والفلسطينيين والاموريين وغيرهم .

---

(١) لمزيد من التفاصيل حول هجرة اليهود السوفيت انظر : عبد الوهاب المسيرى ، هجرة اليهود السوفيت ، كتاب الهلال ، العدد ٤٨٠ ، القاهرة ، ١٩٩٠ ، ص ١٣ وما بعدها .

« فسكن بنو اسرائيل فى وسط الكنعانيين والحثيين والاموريين والغرزيين والحويين واليبوسيين . واتخذوا بناتهم لانفسهم نساء وأعطوا بناتهم لبنيهم وعبدوا آلهتهم » . قضاة ٣:٥ – ٦ .

« وصاهر سليمان فرعون ملك مصر و أخذ بنت فرعون وأتى بها الى مدينة دواد . . . » ملوك أول ٣ : ١

« وأحب الملك سليمان نساء غريبة كثيرة مع بنت فرعون موأبيات وعمونيات وأدوميات وصيدونيات وحثيات ، من الأمم الذين قال عنهم الرب لبنى اسرائيل لاتدخلون اليهم وهم لايدخلون اليكم لانهم يميلون قلوبكم وراء آلهتهم . فالتصق سليمان بهؤلاء بالمحبة . وكانت له سبع مئة من النساء السيدات وثلاث مئة من السرارى فأمالت نساؤه قلبه . وكان فى زمان شيخوخة سليمان أن نساءه أملن قلبه وراء الهة أخرى ولم يكن قلبه كاملاً مع الرب إلهه كقلب داود أبيه . فذهب سليمان وراء عشتورت الهة الصيدونيين وملكوم رجس العمونيين » ملوك أول ١١: ١ – ٦ .

والنصوص اليهودية المقدسة التى تشير الى « الزواج المختلط » بالشعوب الأخرى « والايمان المختلط » بالاديان المجاورة كثيرة وعديدة ، ولاننس أن كثيراً من اليهود لم يرجعوا الى فلسطين بعد سبيهم الى بابل وفضلوا البقاء فيها . كما عاد مع المسبيين كثير من غير الاسرائيليين والذين اعتنقوا اليهودية فى بابل .

ولا يفوتنا أن نذكر هنا زواج سليمان – حسب الاساطير اليهودية – من ملكة سبأ وهى غير يهودية ، هذا الزواج المزعوم

الذى نتج عنه نسل الفلاشا .

وقد أصدرت الكنيسة المسيحية فى طليطلة عامى ٥٣٨ ، ٥٨٩ م وفى روما عام ٧٤٣ م قيوداً وقوانين تحرم الزواج المختلط مع اليهود ، وهذا فى حد ذاته دليل على أن هذا الزواج كان أمراً شائعاً فى تلك الفترة مما دعا الى فرض قيود عليه .(١)

وتجده فى مناطق أخرى كالمجر خلال القرن الثالث عشر ، وشاع فى أوربا وكان أن أقرت معظم الدول الزواج المدنى ، بل لقد بلغت نسبة حالات الزواج المختلط بين يهود أيطاليا حوالى ثلثى حالات الزواج التى تمت عام ١٩٣٠ ، كما بلغت ٦٠٪ من أجمالى زيجات اليهود فى ألمانيا ، وكانت نسبته مرتفعة كذلك فى امريكا .(٢)

اذن ، اختلط اليهود وصاهروا شعوب الارض منذ بداية تاريخهم وحتى العصر الراهن ، ومن ثم يصبح الزعم بوجود « جنس يهودى نقى » أو « جنس سامى » هو ضرب من ضروب المستحيل من الناحية الانثروبولوجية ، الامر الذى دعا الاتحاد الامريكى للانثروبولوجيا كى يعلن عام ١٩٣٨ أن لفظ « سامى » انما هو تعبير لغوى يفتقد أى دلالة جنسية على الاطلاق.

ويرى كثير من علماء الانثروبولوجيا مثل فردريك هيرز وغيره أن

---

(١) Riplay, william, Z., The Roces of Europe, Asociological Study, London, I899, p .391 .

(٢) Roth, Cecil, The Standard Jewish Encyclopaedia, p 964 .

اليهود يتكونون من أجناس وعناصر مختلفة للغاية ، وأنه ليس هناك مايمكن أن يسمى بجنس يهودى أو جنس مسيحى أو جنس اسلامى ، فاليهودية هى عقيدة دينية لها أتباع من شتى الاجناس البشرية على الارض .(١)

كما يقول عالم الانثروبولوجيا السويسرى أوجين بيتار : « ان جميع اليهود فى نظر علماء الانثروبولوجيا على الرغم مما يزعمه اليهود الذين تجمعهم العنصرية الاسرائيلية لا ينتمون على الاطلاق الى جنس يهودى » .(٢)

ويقول رينان أيضا : « لاتوجد سحنة يهودية واحدة ، بل هناك عدة سحنات يهودية » .

ونظرة عابرة على وجوه الزاعمين بيهوديتهم تنبئنا بكذب أى ادعاء بوحدة الأصل أو نقاء الجنس اليهودى . فأى تشابه بين سحنة الفلاشى اليهودى وسحنة شامير البولندى واليهودى العراقى ، والامريكى ، والخزرى .

وينفى ريلى(٣) فكرة « النقاء الجنسى» عن اليهود ويؤكد على أن اليهود اليوم لا يشكلون جنساً واحداً ، كما يؤيده فى ذلك هادون الذى ينفى هو أيضاً فكرة نقاء الجنس اليهودى(٤) .

---

(١) Hadawi, Sami , Palestine , Cairo , 1955 , pp . 16 - 17 .

(٢) Eugene , Pittard . Les Raoces Et L'Histoire, Paris . 1924 , pp 313 .
نقلاً عن : حسن ظاظا الشخصية الاسرائيلية ، المرجع السابق ، ص ٣٢ .

(٣) Replay , المرجع السابق , pp . 392 - 400

(٤) Haddon , A ., C ., The Races of Man , Cambridge , 1929 , p. 2

وبعد قيام اسرائيل ثار جدل واسع المدى حول الهوية اليهودية، اذ كان لابد من تحديدها حتى يتم تطبيق قانون العودة على من يدعون اليهودية فى العالم كله . وقد أرسل بن جوريون الى عدة شخصيات يهودية يحاول ايجاد حل حاسم للمشكلة فجاءته ردود عديدة متباينة ،اذ تبنى البعض مقاييس الشريعة اليهودية فقالوا بأن اليهودى هو من ولد لام يهودية أو من تهود ، وتبنى آخرون المعيار الشخصى فقالوا بان اليهودى هو من يعتبر نفسه كذلك ، وتبنى فريق ثالث معيار القسر الخارجى فرأوا أن اليهودى هو من يعتبره الآخرون كذلك .

أما عالم الاجتماع الصهيونى أرثر روبين فقد سعى من خلال جهود عملية مضنية لاثبات أن اليهودى هو الاشتكنازى وان السفاردى ليس بيهودى ، وهناك مواقف عديدة لزعماءالصهيونية تؤيد ذلك ومنها ما أعلنته جولدا مائير من أنها لاتتصور كيف يمكن لليهودى أن يكون يهودياً دون أن يعرف لغة اليديش ،لغة الاشكناز فى أوربا .(١)

وقد ثارت مشكلة الهوية على نحو خطير فى اعقاب هجرة الراهب دانيال الى اسرائيل وهو يهودى هولندى تنصر واصبح راهبا كاثوليكيا ، وقد استطاع تقديم خدمات جليلة لليهود حيث انقذ العشرات منهم من الالمان . اذ رفض وزير الداخلية الاسرائيلى اعتباره يهوديا ، وأيدت محكمة العدل العليا قرار الوزير واعتبرت أن اعتناقه للمسيحية قد ألغى يهوديته ، وأن طلبه مناف للشريعة اليهودية .

تم تعديل قانون العودة اليهودى بحيث عرف اليهودى بأنه من ولد لأم يهودية بشرط ألا يكون على دين آخر ، كما نص على أن اليهودى

---

(١) عبد الوهاب المسيرى ، حاضر الصهيونية ومستقبلها ، قضايا فكرية ، اشراف محمود امين العالم ، الكتاب السابع ، اكتوبر ١٩٨٨ ، القاهرة ، ص ٢٠ – ٢١ .

هو المتهود ، وهو فى ذلك يستند على تشريعات دينية ربانية واضحة .(1)

وليست هناك قضية هوية معقدة مثلما نجد فى أمر الفلاشا ، اذ تجمع بين طياتها كل المتناقضات.

فبينما نجد الحكم الشرعى للحاخام دافيد بن زمرا رئيس أحبار يهود مصر فى بداية القرن السادس عشر والذى يقرر أن قبائل الفلاشا فى أرض كوش هى من نسل أسرائيل ومن سبط دان ، نجد على الطرف الاخر بعض الباحثين وعلى رأسهم وولندورف يعلن أن مسألة اعتبار الفلاشا من نسل اسرائيل مسألة ينقصها الدليل التاريخى ويؤكد على أن الفلاشا هم نسل عناصر كانت فى مملكة أكسوم ، وقفوا ضد حركة التنصير فى القرن الرابع ويهوديتهم ليست سوى انعكاس للايمان والاعراف اليهودية التى تسربت الى أجزاء معينة من جنوب الجزيرة العربية فى القرن الاول الميلادى ثم دخلت بعد ذلك الى الحبشة وأمتزجت مع بعض أسس الديانات الاخرى (2) .

---

(1) انظر على سبيل المثال :
أ . ح . شاكى ، من هو اليهودى فى قوانين دولة اسرائيل ، جـ 1 ، 1987 (بالعبرية) ص 25 وما بعدها .
وكذلك قوانين حظر الزواج لموسى بن ميمون .

(2) Ullendorlf, E . , 1 - Review of Leslau's Falasha Antholgy, B S O A S , X v (1953, p 177,
2 - Hebraic - Jewish Elements in Abyssinian (Monoghysite)Christianity, J SS , 1 (July 1959) p . 216,
3 - Ethiopia and the Bible, London, 1968, pp . 117 - 118 .

وبين الرأيين السابقين هناك اراء أخرى عديدة متباينة ، ولعل ذلك الاضطراب يرجع الى عدم وجود أية مصادر موثوق بها عن الفلاشا للفترة السابقة على القرن الرابع عشر الميلادى . وقد لخص أشكولى وضع الفلاشا قائلا : ان المادة التاريخية التى فى أيدينا عرضية عابرة وليس بها ثمة مايفيد التقديم أو التأخير فلا التقاليد ولا الشائعات ولا الاساطير الواردة فيها يمكن تمييزها عما هوصادق ، بل ان فى ضمها كلها معا لاتعطى صورة واحدة . . . . »[1] بل لقد شكك فى علاقة الفلاشا بالاسباط العشرة ودعا الى مزيد من البحث العلمى لهذا الزعم[2] .

---

(١) أ . ز . اشكولى : كتاب الفلاشا ، القدس ، ١٩٤٣ ، ص ١٩٧ .

(٢) أ . ز . اشكولى : يهود الحبشة فى الأدب العبرى ، مجلة صهيون ، ١ ، ١٩٣٦ ، ص ٣١٦ – ٣١٧ .

ثانيا : الاتصالات اليهودية – الفلاشية

لم يكن بين يهود العالم من يعرف شيئاً عن يهود اثيوبيا ، وأول يهودى سعى للاتصال بالفلاشا هو المستشرق يوسف هاليفى الذى بدأ عملية البحث والتنقيب عنهم عام ١٨٦٧ للوقوف على حقيقة اوضاعهم واحوالهم .

وكان سفر هاليفى فى ذلك الوقت حدثاً جليلاً لايقل أهمية وخطورة عن الصعود الى القمر فى عصرنا الراهن . فالاسم كوش لايعرفه أحد ، والقلة التى تذكره لاتدرك حقيقة وجوده .

فى هذة الفترة ، قامت حركة كبيرة بين يهود العالم من أجل الوصول الى كوش والبحث عن يهود ها ، الذين فى نظر البعض – وهم فى معظمهم من العامة اليهود – بقايا الاسباط العشرة التى انفرط عقدها وضاعت فى شتى انحاء العالم . وأخذ الاهتمام بالوصول الى كوش يزداد عندما ظهر الرجل الذى أخذ على عاتقه مهمة البحث والتنقيب عن «أخوة مفقودين وانقاذهم من خطر التبشير النصرانى واعادتهم الى حظيرة اليهودية » .(١)

وقدقامت بالفعل جمعية « كل اسرائيل اصدقاء » – وكان مقرها باريس – بايفاد البروفيسور هاليفى الذى كان يجيد عدة لغات منها الأمهرية التى يتكلمها الأحباش فى ذلك الوقت وذلك بهدف فحص القضية على أرض الواقع ولم ينجح هاليفى فى أداء تلك المهمة لصعوبةالوصول آنذاك الى مراكز الفلاشا ، لكنه استطاع الاتصال ببعض التجمعات الفلاشية واقامة اتصال بينهم وبين يهود اوربا ، كما

---

(١) قشانى ، المرجع السابق ، ص ٣٧ .

استطاع أن يجمع معلومات غزيرة عنهم وكتب تقريراً عن رحلته أشار فيه الى تمسك اخوانه من الفلاشا بيهوديتهم وانتمائهم الى شعب اسرائيل واله اسرائيل القاطن فى القدس المقدسة .

وما زال أرشيف جمعية « كل اسرائيل اصدقاء » ، يضم خطاب يوسف هاليفى الذى بعث به الى الجمعية مرشحاً لنفسه وعارضاً استعدادة للقيام بهذة المهمة . وجاء فى هذا الخطاب(١) :

«الى الرؤساء المحترمين ، زعماء الجمعية المباركة : كل اسرائيل اصدقاء ، جل ثناؤهم . علمت مما نشر ، رغبتكم فى ايفاد رجل مخلص وواع الى اخوتنا ابناء اسرائيل المفقودين فى أرض كوش للسؤال عنهم وبحث أحوالهم وطبائعهم ولربطهم برباط متين مع اخوانهم يهود الغرب .

وهذا العزم الطيب لايمكن له أن يتم دون وجود شخص مهياً وجدير بهذه المهمة الثقيلة .

ان الأنباء المؤلمة التى وصلتنا مؤخراً من أرض كوش عن سوء وضع اخواننا هناك وما يحيط بهم من أخطار من جانب الوفد البريطانى الذى يسعى الى ابعادهم عن دين ابائهم ليعبدوا بشراً وليد أنثى ، هذه الأحداث قد أثارت أبناء شعبنا وارتفع صوته يقول من شتى انحاء المعمورة : قوموا لانقاذ أخواننا ، ان مشاعرى قد تأججت بداخلى وجعلتنى اتقدم اليكم سادتى واضعاً نفسى امامكم من أجل اختيارى كى أقوم بهذه المهمة الصعبة ، الى ارض كوش ، ولأقوم بتنفيذ كل ما ترونه طيبا بشأن اخواننا القاطنين هناك . وبحمد الله ، تتوفر فى

(١) قشانى ، المرجع السابق ، ص ٣٨ – ٣٩ .

شخصى كل الموهلات المطلوبة لهذه الرحلة :. –

أولاً : بداخلى حب كبير وشوق عظيم لهذه الرحلة منذ سنوات طويلة . . . وقد نذرت نذراً، لاله اسرائيل ان أسافر الى أرض كوش لاستطلاع أحوال اخوتنا هناك على قدر استطاعتى ، ومنذ ذلك الحين وحتى الآن وأنا لم اتوقف عن اعداد نفسى للسفر ولم يقعدنى عن ذلك سوى أمر معيشة أهلى وأسرتى ، وقررت أنه فى حالة توفر ما يسد حاجة أسرتى لعامين اثنين فسأبدأ الرحلة فوراً ودون عون من الأخرين .

ثانياً : أنا رجل رحالة منذ صغرى ، اذ وطأت قدماى ثلوج الشمال ؛ والهب جسدى حر مصر أياماً وسنوات ...

ثالثا : أعرف العديد من اللغات القديمة كما أعرف الانجليزية والتركية والعربية والكوشية (الجعزية) والأمهرية ، وأتمكن من الفهم بها جيدا ، بل وبعد وقت قصير من المعايشة استطيع أن احاور اللغويين انفسهم .

رابعا : منذ طفولتى وأنا على علم بالتوراة والتلمود والمدراش ، والممت بعلوم الطبيعة والحساب والجبر ، وبكل ما يخص ابناء شعبنا .

خامسا : لى خبرة عظيمة فى جدال النصارى ، واعرف الاناجيل كلها تقريباً وأنا على أمل أن أضع حداً لنشاط المبشرين الانجليز فى أرض كوش .

عبدكم المخلص بقلبه ونفسه

يوسف هاليفي

ومن ناحية أخرى ، وجه اليهود القراؤن اهتمامهم كذلك بطائفة الفلاشا ، اذ أعتبروا هذه الطائفة أكثر قرباً وتشابهاً معهم عن غيرهم من سائر اليهود لايمانهم بالتوراة المكتوبة فقط وعدم أعترافهم بما عداها من تلمود وأقوال حكماء .

وفى عام ١٨٩٦ توجه القراؤن فى بيتربورج فى روسيا برسالة الى الفلاشا شملت ثمانية عشر سؤالا عن الشرائع التى يقيمونها . وفى اجتماع للطوائف القرائية عقد فى القرم عام ١٨٩٧ تقرر ارسال وفد من القرائين لاخوانهم اليهود الاحباش الا أن هذه الخطوة لم تتحقق .

وفيما يلى نص الرسالة التى بعث بها القراؤن الى الفلاشا :

« اخواننا بنوا سرائيل ، أبناء ديننا ، دين القرائين .

بعون الله ، هنا فى مملكة روسيا ، وفى العاصمة بيتر بورج ، فى يوم الأحد الحادى والعشرين من شهر كسيلو من سنة ٥٦٥٦ من خلق العالم .

السلام عليكم يا اخواننا الاعزاء ، يا أبناء ابراهيم واسحق ويعقوب ، باركِكم اله أسرائيل ، آمين .

سمعنا وقرأنا فى الكتب أنه من بين اخوتنا بنى اسرائيل من يسكن فى أرض كوش حيث يعتمد دينهم وايمانهم على توراة موسى عبد الله . وكما سمعنا فانكم تسمون (بالفلاشا) وأيضا (قرا) ، لذلك قدرنا أنكم تدعون (قرا) لانكم تؤمنون فقط بتوراة موسى المكتوبة وتقرأون فيها فقط ، وأنكم لاتؤمنون بالتوراة الشفوية المنسوبة الى موسى فى سيناء كما يؤمن بها

سائر اليهود والذين يسمون أنفسهم بالربانيين وأصحاب القبالاه حيث يؤمنون بالمشنا والتلمو د اللذين كتبا وأضيفا الى التوراة مؤخراً .

ومن ثم فاننا نود أن نخبركم بأننا أيضا نحن اسرائيليون نؤمن فقط بتوراة موسى ولذا نسمى (قرا) و(قرائين) و(أبناء المقرا) ، بمعنى أننا نقرأ فقط فى توراة موسى المكتوبة . . . . .» .

ويشكك بعض الباحثين المهتمين بأمر الفلاشا [1] فيما اذا كانت هذه الرسالة قد وصلت بالفعل الى الفلاشا أو اذا كانوا قد قاموا بالرد عليها .

وفى عام ١٩٠٤ سافر الى الفلاشا الدكتور يعقوب فيتلوبيتس بدعم من البارون اليهودى ادموند روتشيلد وعمل فى الحبشة ومناطق الفلاشا ثمانية عشر شهراً وكتب ملاحظاته فى تقرير رفعه الى البارون روتشيلد بعد عودته .

أما زيارته الثانية للفلاشا فكانت خلال عامى ١٩٠٨ -١٩٠٩ ، وقد دون ملاحظاته حول هذه الزيارة فى كتاب بعنوان «رحلة الفلاشا » ، ترجم من الالمانية الى العبرية عام ١٩٥٩ .

وقد تكررت زيارات فيتلوبيتس الى الحبشة ، ويعتبر بحق الرجل الذى فتح مرحلة جديدة فى حياةالفلاشا انفسهم ، ودعا العالم اليهودى للاهتمام بهم وانفاذهم من التدمير فى القارة السوداء .

واستطاع فيتلوبيتس من خلال زياراته المتعددة ان يقوى من ايمان

---

(١) قشانى ، المرجع اسابق ، ص٤١ .

الفلاشا باليهودية كما بحث احوالهم وسلوكهم ، وقد أخذ اليهم فى احدى زياراته رسالة موقعة من اربعة وأربعين حبراً من احبار اليهود من شتى انحاء العالم . الأمر الذى كان له أكبر الأثر فى تشجيع هذه الطائفة وبث الامل فى نفوسهم .

وقد جاء فى هذه الرسلة :

« باسم الله . اله اسرائيل » .

السلام عليكم اخواننا من بنى اسرائيل وابراهيم واسحق ويعقوب ، القاطنين أرض كوش . نخبركم بوصول كتابكم المرسل مع اخينا المحترم يعقوب بن موسى بن فيتلوبيتس كما أنه ، قد قص لنا ما رآه وسمعه من مشاكل وضائقات تقلق بالكم وتزعج انفسكم ، وانكم قد فقد تم على مدار السنين كتبكم المقدسة ، وليس لكم من مرشد على الطريق التى تسيرون فيها . ولما سمعنا كلام أخينا ، وقرأنا رسالتكم ، تاقت قلوبنا شوقا لكم وتقطعت أحشاؤنا حزناً عليكم لأنكم من لحمنا وذواتنا .

وانّا لنشكر الرب اله اسرائيل ، الذى لم يتخل عنكم ، وليرحمكم الله أمام الملك الكبير الطيب العادل . فلتتماسكوا ، ولتتشجعوا يا اخوتنا . لاتخافوا ولاتهنوا لأن اله آبائنا الذى انقذنا بحوله وقوته من المهالك التى أحاطت بنا حتى الآن، لن يترككم أويخذلكم فى الأيام المقبلة فلتذكروا كلماته التى أرسلها لنا على يدى نبينا .... فلتؤمنوا به ولتثقوا فيه فى كل آ ن وحين ، وسيقف بجواركم ولن يزلزل أقدامكم أبدا . لا تستمعوا لهؤلاء المغرضين الذين تنطق أفواهم بالتخرصات والأكاذيب ، الذين يسعون لابعادكم عن الرب الهنا ، الاله الواحد الأحد ، المتفرد الذى

خلق السموات والأرض ، والذى أخرجنا من أرض مصر بيد قوية وذراع ممدودة وفعل المعجزات الرائعة التى لا تعد ولاتحصى معنا ومع ابائنا والذى أعطانا توراته المقدسة على يدى موسى عبده المخلص .

ونحن اخوانكم ، سنفعل كل ما بوسعنا لدعمكم وايفاد المرشدين والكتب لأجل تعليم ابنائكم خشية الرب ومخافته وحده على مر الايام والعصور ، ولتحفظوا توراته التى لن تتغير الى الابد ، ولنحظى جميعا برؤية الله فى اليوم الذى يخضع فيه كل الامم والشعوب التى تجتمع معا من أجل ارادته بقلب سليم ، وليجمعنا من شتى انحاء الارض وليأت بنا الى صهيون ، مدينته ، والى اورشاليم بيت قدسه فى سعادة أبدية .....»

وقد بعث ثلاثة وعشرون كاهناً من كهنة الفلاشا بردهم على الرسالة السابقة ، هذا الرد الذى حمله فيتلوبيتس فى يده ، وجاء فيه :

«مبارك الرب اله اسرائيل .....

فهذه رسالة من طوائف اسرائيل فى الحبشة ، الى اخواننا ، طوائف اسرائيل فى العالم .

سلام عليكم يا بنى اسرائيل .. كيف حالكم ؟

لقد تسلمنا خطابكم المرسل مع معلمنا يعقوب بن موسى بن فيتلوبيتس وحلت السكينة على نفوسنا . ولقد كان جوهر كيانكم اسطورة فى أعيننا ولكننا الآن كلنا ثقة ، وغاية فى السعادة .

ان الاخبار التى واتتنا من قبلكم قد شجعتنا واثلجت صدورنا ، فكم نحن حزانى !! فلتصلوا من أجلنا وتطلبوا لنا الرحمة ، ونحمد الله اننا

مازلنا حتى اليوم نتمسك بايماننا بالاله الواحد وبتوراة موسى ولم يشأ الله بعد أن يدمر ذرية يعقوب فى ارض الاحباش . لقد تحملنا الشدائد فيما مضى ، وتحول الكثيرون منا مكرهين الى النصرانية ، أما الآن فالحمد لله ، لنا ملك طيب «منيلك » يريد أن يعيش كل فرد حسب عقيدة أبائه ، فليطل الله فى عمره ، ولكن لما لم يكن لدينا مدارس ، وكتبنا قد دمرت ، أحضر المبشرون لنا كتبهم ، والآن ، وبعد أن سمعنا بشارتكم ، فاننا سعداء سعادة لاتوصف .

ان يهود الحبشة مفعمون بالآمال ، ومنذ أن جاء الينا معلمنا يعقوب وعيوننا تتجه اليكم فاذا تلقينا منكم الكتب والمعلمين لتعليم ابنائنا سنكون لكم من الشاكرين ، اذ لا يمكن تحقيق ذلك بمجهوداتنا . وها نحن نصلى الى الرب ليطيل عمر بنى اسرائيل ومعلمنا يعقوب ، كما نصلى من أجل أن يجمعنا الرب جميعا كل مع أخيه ، وليحفظ الرب اله ابراهيم واسحق ويعقوب وموسى معلمنا يعقوب بن موسى »»

وقد اصطحب فيتلوبيتس عند عودته بعض الصبية من الفلاشا كى يتعلموا فى أوربا واستطاع أن يرى فى أخريات أيامه (توفى عام ١٩٥٧) العديد من الفتيان والفتيات الذين تعلموا فى اسرائيل كى يصبحوا نواة لمعلمى ومرشدى الفلاشا فى اثيوبيا .

ويتضح من جميع الاتصالات السابقة أن مشروع الهجرة الى « أرض اسرائيل » لم يكن فى الأذهان على الاطلاق ، وانما كانت كل الجهود مركزة على انقاذ هؤلاءالفلاشا من الاندثار والذوبان بين الاحباش ، وكان أقصى ما يطمع اليه يهود أوربا أن يبقى يهود الحبشة متمسكين بدينهم وتوراتهم .

وهذا فى حد ذاته يفسرلنا حقيقة هامة وهى أن دعوة الفلاشا للهجرة الى اسرائيل بعد قيام دولتهم بعشرات السنين لاترتبط بهدف دينى خالص على الاطلاق ، وانما حركتها عوامل سياسية واقتصادية بحتة ، وزاد من عملية دفعها فى مرحلتها الأخيرة المسماة بعملية سليمان اطماع استيطان الأرض المحتلة وتكثيف المستوطنات اليهودية فيها ، وسد النقص فى المهن والحرف حيث يأنف المتعلمون والمثقفون فى اسرائيل من القيام بأعمال لاتتفق وما اعتادوا عليه وما حلموا به فى اسرائيل .

ثالثاً : تهجير الفلاشا الى اسرائيل

ان مسألة هجرة الفلاشا الى اسرائيل فى التسعينات ليست وليدة الاحداث الراهنة وانما سبقتها محاولات اسرائيلية تمهيدا لتهجيرهم ، ولعل وابرزها الاتفاق السرى الذى عقده موشى ديان عندما كان وزيراً لخارجية اسرائيل عام ١٩٧٧ مع حكومة اثيوبيا والذى يتم بموجبه امداد النظام الاثيوبى بالسلاح مقابل موافقة الجانب الاثيوبى على هجرة الفلاشا الى اسرائيل ، ولم يقدر لهذا الاتفاق ان يرى النور لظروف اثيوبية .

وعلى الرغم من أن الوكالة اليهودية كانت على علم بالفلاشا واحوالهم منذ عام ١٩٤٨ وما قبلها الا ان الحاجة الاسرائيلية لهم لم تكن ماسة ، فالانظار وجل الاهتمام موجه بالدرجة الاولى الى يهود الدول المتقدمة كى يساهموا فى دفع عجلة التنمية فى اسرائيل ، ومع تطور سياسة الاستيطان فى الاراضى العربية المحتلة وظهور الحاجة الى مزيد من السكان وبخاصة لسد الاحتياجات الاجتماعية لبعض الاعمال المتدنية بدأ الإسرائيليون يوجهون اهتماماً اكبر من ذى قبل الى

الفلاشا ، ولم يكن امام اسرائيل الا اتباع نفس الاساليب التقليدية فى الترغيب والترهيب لجذب يهود الشتات ، كما قامت الوكالة اليهودية بحملة واسعة لجمع التبرعات من يهود العالم الاثرياء لتمويل عمليات هجرة الفلاشا من اثيوبيا الى اسرائيل[١] .

وبدأت المحاولات الاسرائيلية الجادة لاقناع الرئيس الاثيوبى منجستو بفتح باب الهجرة للفلاشا الا ان الرئيس الاثيوبى لم يتحمس لذلك خاصة وان علاقاته بالدول العربية كانت طيبة ، حتى كانت احدى زيارات بيجن للولايات المتحدة ، وكان ذلك ابان محادثاته مع السادات فى كامب ديفيد ، وعلم بيجن ان الرئيس الاثيوبى يزور الولايات المتحدة فى نفس الوقت لشراء سلاح امريكى .

ويبدو ان الرئيس منجستو قد وقع فى الفخ الذى نصب له : فالكونجرس الامريكى رفض طلبه ، ويظهر الناصحون له فيرشدونه الى الطريق : الاستعانة بالنفوذ الاسرائيلى لتحقيق الهدف المنشود ، وبالفعل اتصل الرئيس الاثيوبى بمناحم بيجن الذى لم يتردد فى طلب الثمن الفورى .. اقامة جسر جوى بين اديس ابابا وتل ابيب لنقل الفلاشا . وبالرغم من حاجة منجستو الماسة الى سلاح لمواجهة الصراع على الحدود بينه وبين الصومال ، الا انه لم يوافق على ذلك الطلب ، ربما تمشياً مع الاتجاه العام وقتئذ لمنظمة الوحدة الافريقية .

ولم يكن امام اسرائيل سوى العمل السرى لتهجير الفلاشا ، وهو اسلوب تمرست عليه واجادتةالمخابرات الاسرائيلية . ومع بداية

---

(١) وردت تفاصيل عمليتى هجرة الفلاشا عامى ٨٤ ، ١٩٨٥ فى كتاب أعده محمد مكاوى بعنوان عملية موسى وعملية سبأ ، ونشرته دار ابولو بالقاهرة عام ١٩٩٠ ، وقد اعتمدت عليه كمصدر رئيسى عن هاتين العمليتين .

الثمانينيات ، خطط الموساد مع وكالة المخابرات الامريكية لتنفيذ عملية تهجير من اثيوبيا الى اسرائيل ، نفذتها منظمة امريكية تدعى « المنظمة الامريكية » تعمل تحت امرة المخابرات الامريكية ، وتم بالفعل تهريب مائة واربعين من الفلاشا على متن طائرة لنقل البضائع .

واستطاع الموساد عام ١٩٨٢ أن ينقل الف اثيوبى فلاشى الى اسرائيل بعون ودعم من المخابرات الامريكية ايضا ، واستمرت عمليات التهريب حتى اكتشفت احداها وتم القبض على المهاجرين والمشرف على تنفيذ العملية مما سبب حرجاً بالغاً للرئيس منجستو الذى كان يعلن دائما عن دعمه وتأييده للقضية الفلسطينية وسارع الى ادانة العملية ، وتوقفت نتيجة ذلك عمليات التهريب حتى يتم ايجاد وسائل اخرى اكثر فعالية ، أوبمعنى آخر حتى تتم عملية تهجير جماعى مشابهة لعمليات التهجير التى تمت من دول كثيرة كالعراق واليمن والمغرب وغيرها ، ولم يكن لمثل هذة العملية ان تتم دون مساهمة السودان ، وهى العملية التى اطلق عليها فيما بعد «عملية موسى ».

عملية موسى :

ولم يكن .بالامكان ان تتم عملية تهريب جماعى لبضعة آلاف من الفلاشا عبر الاراضى السودانية دون علم حكومتها ، ومن ثم بدأ البحث عن الوسائل التى تمكن الاسرائيليين من الاتصال بالرئيس السودانى جعفر نميرى الذى لم يكن فى البداية على استعداد لمثل هذة المخاطرة حتى استطاعت الاوساط الامريكية - الاسرائيلية ان تجد الوسيط المناسب الاوهو رجل الاعمال الثرى عدنان خاشقجى الذى لم يتردد فى أداء ما طلب منه شريطة ان تتم الترتيبات بدقة بالغة لعدم احراج النميرى وان يتم الاتفاق على نصيب المشاركين وطريقة الدفع ، وتم

الاتفاق بالفعل ، وكان نصيب الرئيس جعفر نميرى ستةوخمسين مليون دولار تم ايداعهما فى حساب سرى باسمه فى فرع لبنك اوربى فى روما ، كما كان لمساعدى الرئيس السودانى نصيب فى تلك الصفقة بخاصة هؤلاء المشاركين فى التنفيذ وعلى رأسهم اللواء عمر الطيب نائب رئيس الجمهورية والدكتور بهاءالدين ادريس مساعد رئيس الجمهورية لشئون القصر وغيرهما .

وفاتح خاشقجى النميرى فى الامر وطمأنه على سربة الصفقة ، بل لقد استطاع خاشجى ان يرتب لقاء بين النميرى واريل شارون فى قصر له فى نيروبى حيث تم الاتفاق النهائى الذى اشترط فيه النميرى مشاركة المخابرات المركزية الامريكة فى العملية لسهولة تحرك عملائها فى السودان ، وألاتتجه الطائرات التى ستقل الفلاشا الى اسرائيل مباشرة وانما تقلع من الخرطوم الى اى بلد اوربى وألا تظهر اسرائيل فى العملية تماماً .

وبدأت مراحل التنفيذ .

اقيمت المعسكرات فى منطقة «القضارف» و «تبواوا» وهما من المناطق النائية على الحدود بين السودان واثيوبيا ، وتم اختيار بعض السائقين لنقل الفلاشا بالسيارات حتى مطار الخرطوم على ان يكون دخولهم للمطار ليلاً ومن بوابات الحجاج حيث يتم نقلهم الى بعض مخازن البضائع تحت حراسة مشددة اشرف عليها عقيد سوداني اشتهر فيما بعد بالعقيد الفلاشى وهو الفاتح محمد أحمد .

ولضمان نجاح العملية تم الاتفاق مع رجل اعمال يهودى بلجيكى يدعى جولتمان ، يمتلك العديد من الطائرات ، للقيام بأداء هذه المهمة القومية الخطيرة ،، ووضع على هذه الطائرات اسم شركة

« ترانس يوربيان ايرلاينز »وكانت هذه الشركة تعمل على نقل مواد الاغاثةالى السودان .

فبعد أن تفرغ الطائرات حمولتها فى الليل يتم شحن الفلاشا من مخازن البضائع وبمنتهى السرية ، وبعد أن تم اعداد جوازات سفرلهم تحمل تأشيرات دخول لبعض الدول الاوربية خشية اكتشاف امرهم ، وليسهل تبرير وجودهم على هذه الطائرات .

وتتجه الطائرات من الخرطوم الى بروكسل حيث تتزود بالوقود على انها «ترانزيت ».وتقلع مباشرة الى تل ابيب ، بل وتم الاتفاق – من باب الاحتياط – مع وزير العدل البلجيكى وهم يهودى ، للتدخل اذا ما دعت الضرورة .

وقد أشرفت قوات الامن التابعة للرئاسة السودانية على اتمام وحراسة المنطقة ضمانا للسرية .

وتم تحديد موعد الرحلة الاولى يوم ٢٠ /١٩٨٤/١١، وجرت الامور حسبما تم الاتفاق تماما وبدقة ،وتوجه السفير الامريكى الى مطار الخرطوم ومعه هيرى ديفر مسئول الامن بالسفارة حيث استقبلهم فى المطار العقيد هاشم ابورنات ، من ضباط مباحث امن الدولة السودانى ، ومدير مكتب اللواء عمر الطيب ، والعقيد الفاتح محمد احمد ، وقد جاء السفير للاطمئنان على سير العملية ولبعث الطمانية الى قلب الرئس النميرى ، فأمريكا حامية للعملية بأسرها .

ونجحت بالفعل العملية الاولى التى استغرقت اثنتى عشرة ساعة منذ الاقلاع من الخرطوم والتوقف فى بروكسل للتزود بالوقود ثم الاقلاع الى تل ابيب .

وبالرغم من السرية التى احاطت بعملية موسى ، فقد استطاع احد عملاء وكالة المخابرات المركزية الامريكية العاملين فى الخرطوم ويدعى ديدى كرنكولاتو ، عن طريق احد عملائه العاملين فى مطار الخرطوم ان يصور هذه العملية بكاميرا كانت معه واستطاع تهريبها من المطار رغم القبض عليه ، مما اضطر سلطات المطار الى اطلاق سراحه خاصة وانه يتمتع بحصانة دبلوماسية كأحد العاملين بالسفارة الامريكية فى الخرطوم .

وقد بعث العميل الامريكى - الذى لم يكن على علم بالعملية - بالفيلم الى رئاسته ، وتم حفظه كدليل مادى وحيد على تنفيذ «عمليه موسى» ، كما تم ابعاد العميل ذاته عن السوادن بعد ان كسر حاجز السرية دون تكليف له من قبل قيادته .

واثناءالقيام برحلة تهريب اخرى ، وبالتحديد يوم ٢١/١١/٨٤ استطاع صلاح عمار أحد المفتشين بمطار الخرطوم ان يستمع عبر جهاز اللاسلكى الخاص به نداءات اشتبه فيها وادرك مصدرها . أرسل المفتش احد رجاله لاستطلاع الامر إلا أن حراس الطائرة منعوه من الدخول بل وضربوه . عاد الى رئيسه الذى اتصل بكبير المفتشين ويدعى صلاح مهنا واخبره بالحادث حيث صدرت الاوامر بعدم السماح للطائرة بالاقلاع ، بل وطلبوا تفتيش الطائرة للتأكيد ، واخبر قائد الطائرة العقيد الفاتح بالامر فطمأنه ، ثم توجه الى مكتب كبير مفتشى المطار حيث هددهم وتوعدهم وامرهم بالاتصال ببرج المراقبة فورا والسماح للطائرة بالاقلاع وكتمان الامر تماما ، وبالفعل اقلعت الطائرة .

وشاءت الاقدار ان يطلع اخرون على اسرار عملية تهريب الفلاشا

عبر الخرطوم اذ بينما كان يقوم أحد الخفراء بدوريته الروتينية للتأكد من سلامة المخازن واغلاقها سمع اصواتا آدمية تنبعث من احدها ، فاعتقد ان هناك لصوصا بالمخزن ، وهرول مسرعا الى مسؤول الامن بالمطار الذى امر قواته بمحاصرة المخزن وفتحه والقبض على اللصوص وكانت مفاجأة ان يندفع من المخزن اناس فى حالة اعياء تام ، قام المسئول بنقلهم الى مراكز الاسعاف حيث تسرب الغاز من احدى الانابيب الموجودة بالمخزن وادى الى اصابة البعض .

وحضر العقيد الفاتح ليفاجأ بما حدث وجمع كل من حضر الواقعة ووجه اليهم انذاراً بتوقيع اشد العقوبات عليهم ، ولكن ما كان بالامكان تكميم افواه العشرات ممن اطلعوا على الامر سواء فى المطار أو فى مراكز الاسعاف من الاطباء والعاملين ، وسقط حاجز السرية والفضل للقضاء والقدر .

وبدأت بعض الانباء تتسرب الى وكالات الانباء والى الصحف العالمية، واعترف متحدث رسمى فى مؤتمر صحفى يوم ١٩٨٥/١/٦ بأن اسرائيل قد نقلت بالفعل الالاف من الفلاشا الى اسرائيل الاانه لم يكشف عن تفاصيل العملية ومن شارك فيها .

ولم يكن امام الرئيس النميرى الا ان يأمر بوقف العملية طالباً من اسرائيل والولايات المتحدة الامتناع عن كشف دوره فى تهريب الفلاشا ،كما سارع منجستو الى ادانة العملية التى تمت دون علمه. تهجير رعايا دولته دون علمه . مما يعد اعتداء على سيادة الدولة وقدم احتجاجاً الى الحكومة السودانية لمشاركتها فى العملية ، ولم تمض سنوات قليلة حتى اعاد منجستو علاقاته باسرائيل بعد انقطاع دام اثنى

عشر عاماً كما بدأت اثيوبيا تسعى لعقد صفقة مع اسرائيل ، تسمح فيها بتهجير الفلاشا مقابل السلاح والمستشارين العسكريين والزراعيين ، بل لقد سمحت اثيوبيا لاسرائيل باقامة قاعدة تصنت فى احدى الجزر الاثيوبية فى البحر ظاهرها خدمة اثيوبيا ضد حركات التحرر فى ارتريا وباطنها التجسس الالكترونى على السعودية واليمن ، وبالفعل بدأت عمليات التهجير فور وصول أول شحنة من الاسلحة الاسرائيليةالى اثيوبيا .

عملية سبا:

ولكن قبل أن تبدأ هذه العمليات ، مارست اسرائيل ضغوطها على النميرى بفضل جورج بوش نائب الرئيس الامريكى وقتئذ ، وذلك لاتمام عملية تهجير أخرى سميت بعملية «سبأ » وقد زار بوش الخرطوم فى ١٨٩٥/٣/٦ من أجل طمأنة النميرى . وتأكيد «الضمان الامريكى » لنجاح العملية ، فوافق النميرى بشرط عدم توجه الطائرات الامريكية التى ستنقل المهاجرين الى اسرائيل مباشرة وانما تتوجه الى اوربا او الى اى مطار أخر .

وقد استفاد القائمون على العملية الجديدة من سلبيات العملية الاولى ، ووجدت المخابرات الامريكية ضالتها فى مطار مهجور بشرق السودان وبالقرب من مراكز تجمع الفلاشا وهو مطار العزازا لتسهيل السيطرة عليه من قبل العقيد الفاتح وعملاء المخابرات الامركية، وتم اعداد المطار وطائرات النقل العسكرية س ١٣٠ لاداء العملية.

كما تم تجنيد موظفو هيئة الاغاثة لصالح المخابرات الامريكية الذين زاروا مخيمات الفلاشا واعلنوا بينهم عن حاجة بعض الجهات الاجنبية

لتشغيل عدد من هؤلاء اللاجئين ويتم التعاقد الصورى مع الاشخاص وتم اعداد جوازات سفر عليها تأشيرات بعض الدول الاروبية امعانا فى التموية والتضليل .

ونقلت الطائرات العسكرية الإمريكية المهاجرين الفلاشا مباشرة الى مطار عسكرى اسرائيلى فى منطقة النقب ، ولم يف بوش بشرط النميرى ،وفى الوقت نفسه تسربت انباء العملية لبعض الجهات السودانية والدوائر الصحفية ، واستطاع مراسل صحيفة لوس انجلوس فى اديس ابابا ان يكشف مزيدا من اسرار العملية وتفاصيلها ، وما لبثت العملية ان ذاعت فى العالم بأسره ، مما ادى الى توقف العملية بعد أن بلغ عدد الذين تم تهجيرهم فى العمليتين ما يقرب من عشرين الفا من الفلاشا .

عملية سليمان(*) :

فى الخامس والعشرين من مايو ١٩٩١ ، يوم السبت المقدس لدى اليهود ، تمت عملية تهجير كبرى للفلاشا من اثيوبيا الى اسرائيل ، هى العملية التى اطلق عليها عملية سليمان .

ويلاحظ ان اكبر عمليات تهجير الفلاشا قد اطلق عليها موسى وسبأ وسليمان وهى اسماء اختيرت بعناية فائقة ، فموسى ، الممثل الرسمى لليهودية ، وسبأ وسليمان – حسب الاساطير الاثيوبية اليهودية – هما اللذان انحدر من نسلهما يهود الفلاشا على نحو ما بينا فى بداية الحديث عن أصول هذة الطائفة .

(*) جميع تفاصيل هذه العملية مأخوذة عن الصحف الاسرائيلية التى صدرت فى اثناء فترة الهجرة وبخاصة دافار ٢٢ / ٥ / ٩١ ، ٢٥ / ٥ / ٩١ ، ٢٦ / ٥ / ١٩٩١ .

هذة العملية الاخيرة ، سبقتها «مغازلات » بين النظام الاسرائيلى والنظام الاثيوبى بزعامة منجستو هيلامريام ، وبالتحديد فى اكتوبر عام ١٩٩٠م عندما تبين لاسرائيل ضآلة حجم الهجرة الفلاشية لاسرائيل . فى هذه المرحلة طلب اسحق شامير من أورى لوفرانى مستشاره لشئون يهود اثيوبيا احضار منجستو الى اسرائيل ، وبالفعل زار الرئيس الاثيوبى اسرائيل سرا والتقى مع المسئولين فيها ، بعدها توالت زيارات لوفرانى لاثيوبيا .

ولقد كان للتحول الاثيوبى عن الجانب السوفيتى بعد انحياز تام دام سبعة عشر عاما أثره فى تطور الاحداث ، اذ اتجهت اثيوبيا الى اسرائيل على امل فتح باب العالم الغربى – والامريكى بصفة خاصة – امامها .

وما كان لاسرائيل ان تترك هذة الفرصة العظيمة دون أن تحقق ما كانت تحلم به ، ووعدت اسرائيل منجستو بتحقيق ما يريد – بعد اتصالاتها بالولايات المتحدة – وكانت اهم مطالب أثيوبيا تتلخص فى امدادها بالسلاح والمساعدات العسكرية لمواجهة اعدائها فى الداخل والخارج .

وكانت احداث اختطاف منجستو وتهريبه خارج البلاد ، وسيطرة للتمردين على الاوضاع فى اثيوبيا فى ١٩٩١/٥/٢٥ ، وعندما حانت ساعة الصفر للبدء فى تنفيذ . أسرع عملية تهجير عرفها اليهود ، فى وقت كانت انظار العالم كله تتابع بقلق ما يحدث فى اثيوبيا ، ولاتلقى بالاً الى أى حدث آخر ، وهذا ماكانت تبغيه اسرائيل

كيف تمت العملية؟

فى حملة خاطفة استغرقت ما يقرب من ثلاثين ساعة ، قامت

خلالها طائرات القوات الجوية الاسرائيلية وشركة العال باحدى واربعين رحلة الى اديس أبابا .تم تهجير مايقرب من اربعة عشر ألف فلاشى اثيوبى .

وتمت هذه العملية بقيادة نائب رئيس الاركان الاسرائيلى العميد امنون شاحك والعقيد (أ) من القوات الجوية واللذين تواجدا كل الوقت فى مطار العاصمة الاثيوبية وقد زار قائد سلاح الطيران الاسرائيلى العاصمة الاثيوبية اثناء العملية ذاتها . اما منسق العمليات ، والذى قام بجهد كبير فى اتمام هذه العملية فهو أورى لوفرانى مستشار رئيس الوزراء الاسرائيلى لشئون يهود اثيوبيا .

وقد هبطت الرحلة الاولى للمهجرين فى تمام الساعة الخامسة إلا ربعاً من مساء يوم الجمعة ١٩٩١/٥/٢٤ وكان فى استقبال القادمين اسحق شامير ووزير خارجيته ديفيد ليفى ، وزعيم الاستطيان اليهودى الوزير اربيل شارون وكذلك اللواء اهود بارك رئيس الاركان وممثلون من وسائل الاعلام العالمية والمحلية .

بعدها توالى هبوط الطائرات العسكرية والمدنية ذات الالوان الزاهية والتى لا تحمل اية علامات اسرائيلية مميزة .

وشاركت طائرات العال التسعة والتى أخفت علاماتها فى نقل ما يقرب من ستة آلاف اثيوبى فى عشر رحلات متتالية ، اما باقى الرحلات فقد قامت بها ست طائرات من طراز بوينج ٧٠٧ وخمس عشرة طائرة هركيوليس تابعة للقوات الجوية الاسرائيلية .

وقد قطعت البوينج رحلتها فى حوالى ثلاث ساعات ونصف الساعة (٢٥٠٠كيلومتر من مطار بن جوريون الى مطار أديس ابابا) بينما

استغرقت رحلة الهركيوليس حوالى خمس ساعات ونصف الساعة . عبرت هذة الطائرات جميعها سماء القدس وايلات ثم اخذت طريق البحر الاحمر ومضايق تيران والمحيط الهندى حتى وصلت الى اثيوبيا ، وهو نفس الطريق الذى تسلكه العال فى رحلاتها المعتادة الى نيروبى . وقد عاد قائد العملية مساء السبت على متن آخر رحلة بوينج ، وكان قد طار الى اثيوبيا قبل تنفيذ العملية ثلاثون من كبار موظفى شركة العال بالاضافة الى خمسة وستين من رجال الوكالة اليهودية ، تجمعوا كلهم فى العاصمة اديس ابابا تحت حماية السفارة الاسرائيلية .

وسبق ذلك تجميع الفلاشا فى معسكر احيط بسرية تامة ووضعت الارقام على جبهة كل اثيوبى فلاشى لسهولة نقلهم بنظام ، وبالفعل تم شحن الالاف الى المطار حيث رافق كل طائرة طبيبان وثلاثة ممرضين ، وشارك فى عملية التهجير ثمانون مضيفا ومما يذكر انه تمت ولادة خمسة اطفال اثناءالعملية التى استغرقت ثلاثين ساعة .

طفل اثيوبى يحمل رقم
الهجرة على جبينه

وقد تعرضت الخطة الاسرائيلية لنقل الفلاشا الى بعض الارتباك بسبب العراقيل التى وضعتها السلطات الاثيوبية كذلك بسبب تجمع الالاف من غير اليهود الذين كانوا يرغبون فى مغادرة بلادهم لسوء الاحوال الاقتصادية ، كما طلب الاثيوبيون وقف رحلات طائرات الجامبو واستبدالها بطائرات اصغر .

وجدير بالذكر ان عملية سليمان قد سبقتها تحركات دبلوماسية سرية مكثفة شاركت فيها كل من اثيوبيا واسرائيل والولايات المتحدة ، وكان الرئيس بوش – الذى قام بدور فعال فى عملية موسى – قد اتصل بالسلطات الاثيوبية وطلب منها بذل كل الجهود لاتمام هذة العملية

بنجاح .

وبالرغم من الاحداث التى سادت اثيوبيا وقت تنفيذ العملية ، فقد صرح نائب رئيس الاركان بأن عملية التهجير لم تتعرض لاى تهديدات عسكرية من اى جانب ، وان كان رئيس الاركان قد كشف النقاب عن استعدادات اسرائيل لمواجهة اى احتمال كان من الممكن وقوعه انذاك .

إما على الجانب الاخر ، فقد صرح متحدث باسم الجبهة اليمقراطية الثورية الاثيوبية خلال محادثة هاتفية له مع مراسل صحيفة دافار الاسرائيلية بأن عملية اجلاء الفلاشا قد تمت بموافقتهم ، اذ لكل مواطن اثيوبى الحق فى مغادرة البلاد الى أى مكان فى العالم بما فى ذلك اسرائيل التى ساعدت منجستو عسكريا . واضاف المتحدث قائلا : بأن هذا الامر لم يعد مشكلة الان ، وانه يأمل فى استمرار العلاقات بين حكومة الثوار الجديدة وبين اسرائيل .

ويتبادر الى الاذهان تساؤل حول المقابل او الثمن الذى حصلت عليه اثيوبيا مقابل اتمام هذه الصفقة قبل هروب منجستو وبعد اندلاع حركة الثوار .

أما ما حصلت عليه حكومة منجستو فهو وصول خبراء اسرائيليين فى مجال الاقتصاد والصحة ، بالاضافة الى بعض المساعدات الامريكية والقروض الدولية التى لم يكن لاثيوبيا فيها نصيب من قبل ، وكذلك وصول بعض المستثمرين الاسرائيليين الى اديس ابابا لبحث امكانية الاستثمار اليهودى فى البلاد .

وأما ما حصلت عليه حكومة المتمردين فكان وعداً امريكياً بالسماح لهم باجراء محادثات للسلام فى لندن ، مع استمرار الدعم الامريكى

لبلادهم شريطة ان تتم عملية تهجير الفلاشا دون ثمة عراقيل .

وهكذا تمت عملية سليمان التى شارك فيها النظام الاثيوبى قديمه وحديثه والتى لولا دعم امريكا ورعايتها ومباركتها لها ما كان لها ان تتم .

كيف تمت عملية سليمان ؟

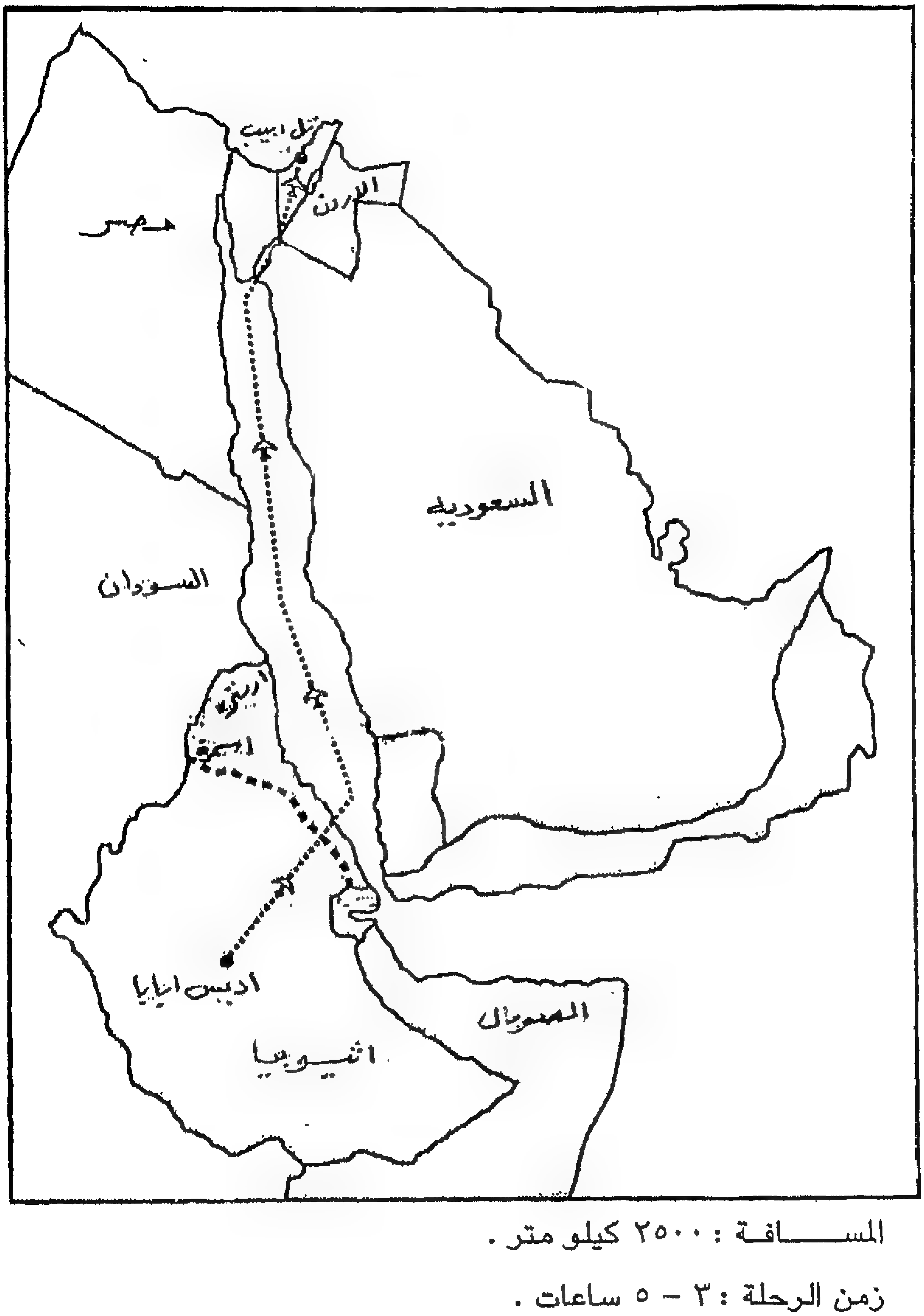

المســــافــة : ٢٥٠٠ كيلو متر .

زمن الرحلة : ٣ – ٥ ساعات .

عدد الرحلات : ٤١ رحلة .

رابعاً : أحوال الفلاشا فى اسرائيل

مما لا شك فيه أن دوافع الهجرة لدى معظم المهاجرين الى اسرائيل من الشرق والغرب ليس لها علاقة باليهودية أو الوطنية بقدر ما ترجع الى عوامل الطرد من بلاد التصدير البشرى الى اسرائيل مثل الاتحاد السوفيتى واثيوبيا .

ففى الولايات المتحدة الامريكية ملايين من اليهود ومع هذا لا تمثل هجرة اليهود الامريكيين شيئا يذكر لانتفاء عوامل الطرد من ناحية ولمعرفة الامريكيين ودول أوربا الغربية عموما بالاوضاع على حقيقتها فى اسرائيل من ناحية أخرى .

أما يهود البلاد المقهورة والمغلوبة على أمرها ، والتى لا تتعدى مجالات الاطلاع فيها الحدود الاقليمية ، فان تضليلهم يصبح عملية سهلة للغاية .

فالى جانب الاوضاع السياسية المضطربة والى جانب الفقر والجوع والمرض والاضطهاد العرقى والدينى السائد فى البيئة السوفيتية والبيئات الافريقية المتخلفة يكون من السهل للدعاية الصهيونية المخطط لها جيداً أن توقع فى شراكها ضحاياها الذين يوعدون بأرض اسرائيل التى تفيض لبناً وعسلاً ، إذْ أن فى اعتقادهم أنه لن يكون هناك أسوأ مما هم عليه .

واذا كان من الصعب أن نقدم تحليلاً لأوضاع المهاجرين الفلاشا الجدد الذين أغرى بهم ، فاننا يمكن أن نقدم تصوراً لما سيكونون عليه قياساً على ما يمر به اخوانهم من مهاجرى عملية موسى وعملية سبأ ، وبعد استقرار فى اسرائيل يزيد على ست سنوات فى ضوء قاعدة عامة

يتفق فيها كل المهاجرين ، وذلك ما جعل الباحثة السوفيتية جالينا نيكيتينا تقول : ان حياة المهاجرين اليهود الى اسرائيل تمثل فى الحقيقة صورة غير مشرفه.(١)

وقد نشرت وكالات الأنباء نقلا عن مصادر لها فى تل أبيب(٢)خبر انتحار « رحيم بخطه » أحد المهاجرين الاثيوبيين والذى لعب دورا كبيرا فى العملية الاخيرة لتهجير الفلاشا من أثيوبيا بسبب الضائقة المالية الفظيعة التى كان يعانى منها هو وأولاده الثمانية وزوجته فى اسرائيل .

وقد احدث انتحار « بخطة » هزة عنيفة فى أوساط المهاجرين الفلاشا فى اسرائيل خاصة وان « بخطه » كان قد أدلى بحديث الى صحيفة هآرتس الاسرائيلية قبل انتحاره قال فيه : « لقد كنا فى اثيوبيا بشرا أما هنا فلسنا سوى حمير » .

وقد أشار تقرير مراقب الدولة الثامن والثلاثين والذى صدر مؤخرا فى اسرائيل(٣) والذى بحث مسألة استيعاب الفلاشا الذين سبقت هجرتهم وعددهم حوالى سبعة عشر ألفا ، أشار الى المشاكل العديدة التى تواجه هؤلاء الفلاشا والمعاناة التى يعيشونها منذ سنوات .

وأبرز صور هذه المعاناة التى أشار اليها التقرير رفض رؤساء سبع مستوطنات استيعاب الفلاشا بداخلها وصعوبة الحصول على سكن ملائم .

ويعانى معظم افراد الفلاشا فى المجتمع الاسرائيلى من العزلة

---

(١) جالينا نيكيتينا ، المرجع السابق ، ص ١٧٠ .
(٢) الاهرام القاهرة ، ٧ / ١١ / ١٩٩١ .
(٣) دافار ٢٦ / ٥ / ١٩٩١ م .

المتزايدة والوحدة القاتلة ، كما فقد كهنة الطائفة وضعهم وصلاحيتهم منذ أن هاجروا ، إما بسبب عدم الاعتراف بسلطتهم وصلاحياتهم ، أو بسبب اهتزاز أوضاعهم ومكانتهم بين الشباب الذين وجدوا وجوهاً أخرى استطاعت استمالتهم اليها .

وفقد كبار السن مكانتهم بين الفلاشا وقد كان لهم وضع متميز فى شتى جوانب الحياة ، وبات الجميع يشعرون بالوحدة والاغتراب .

وظهرت مشكلة جديدة تسمى « بالزواج الزائف » ، وهى علاقة طرحتها وأملتها الظروف التى عاشها الفلاشا فى المعسكرات الانتقالية بالسودان ، اذ كان لابد للمرأة أن ترتبط برجل لحمايتها من أى أعتداء أو أغتصاب أوخطف ، الأمر الذى أدى الى مشاكل أسرية وعائلية مازال المهاجرون يعانون من آثارها .

ولا تتيح ظروف الهجرة والاقامة فى اسرائيل للمرأة الفلاشية أن تقيم مراسم وطقوس الطهارة الخاصة بها والتى اعتادت عليها وسبقت الاشارة اليها .

ومن المشاكل التى أشار اليها التقرير فقدان ثقة الفلاشا بالمجتمع المحيط بهم ، اذ أعتادوا فى وطنهم الاثيوبى أن تثقوا فى الكلمة الخارجة من فم أحدهم ويذيع بينهم مثل يقول : « أن تفى بالوعد خير من أن يولد لك مولود » ولكنهم فى اسرائيل واجهوا قوما يقولون مالا يفعلون مما أصابهم باحباط نفسى شديد .

ومازال الفلاشى بعد هذه السنوات يشعر بالتنكر له وعدم الاعتراف به من قبل الأفراد والسلطات وبخاصة تصرفات الربانيين والحاخامات تجاههم .

ويتعمد الاسرائيليون استخدام لفظ « الكوش » فى التعامل مع الفلاشا ، وهو لفظ يعنى « العبيد » لديهم ، مما يؤذى مشاعرهم ويزيد من عمق الهوة الفاصلة بين « السادة » الاسرائيليين و « العبيد » الاثيوبيين.

ولعل أبراز المشاكل التى يعانى منها المهجّرون الفلاشا القدامى هى ايجاد المسكن الملائم لهم فى اسرائيل[١] . فبالرغم من تصريحات المسئولين التى يزعمون فيها عدم ابقاء أى مهاجر اثيوبى فى معسكرات الاستيعاب لمدة تزيد عن العام ، فهناك ٤٠٪ من مجموع المهجرين مازال بلاسكن . كما أن هناك ما يزيد عن ٦٧٪ من المهجرين عام ١٩٨٩ بلا سكن ، ٨٠٪ من مهجرى عام ١٩٩٠ ، وذلك برغم استمرارية تأكيدات الجهات المسئولة على حل مشكلة الاسكان التى تاهت بين وزارة الاسكان ووزارة الاستيعاب .

وتشكل قضية استيعاب الفلاشا فى نظامم التعليم الاسرائيلى مشكلة أخرى تشبه الى حد كبير فى ملابساتها ونتائجها ما مرت به الطائفة اليمنية عند هجرتها الى اسرائيل .[٢]

فهناك اتفاق سرى غير مكتوب بين الحكومة الاسرائيلية والوكالة اليهودية تم بموجبه توجيه الفلاشا بصورة جماعية الى التعليم الدينى ، وهذا الاتفاق مخالف لقانون التعليم الالزامى فى اسرائيل والذى يعطى الحرية لاولياء الأمور كى يختاروا الاتجاه التعليمى المناسب لأبنائهم الا أن المهجرين الاثيوبيين لا يعرفون شيئا عن هذا القانون ولم يهتم أحد

(١) دافار ٢٢ / ٥ / ١٩٩١ م .
(٢) دافار ٢٧ / ٥ / ١٩٩١ م .

على الاطلاق بابلاغهم ذلك .

وقد نوقشت فى يناير ١٩٩١ هذه المسألة . فيهود الاتحاد السوفيتى لم يعاملوا كيهود أفريقيا ، اذ يعتبر اليهود الروس أنفسهم غير متدينين ويسعى التعليم الدينى الى اغرائهم حتى ينضموا الى صفوفه ، بل لقد قدم الأحبار اليهود تنازلات دينية لهم من أجل جذبهم الى حظيرة الدين اليهودى .

والمؤسسات التعليمية الدينية الرسمية فى اسرائيل لم تقبل الفلاشا الا بعد أن فرضت عليهم متطلبات التهويد وابرزها فصد دماء الغرلة والغطاس ، حتى أصبح التلاميذ الفلاشا يخشون الخروج فى نزهات مدرسية أو الى دروس السباحة خشية أن يأمروهم بالغطاس مرة أخرى .

ومن ناحية أخرى فان المدرسين الدينيين فى اسرائيل يعاملون الفلاشا معاملة العلمانيين ، اذ يعتقدون أنهم لا يدينون باليهودية ولذلك لا يطلب من أطفالهم فى المدارس قراءة التوراة على عكس ما قضت به الحاخامية الكبرى فى اسرائيل .

وفى بحث انثروبولوجى قامت به د. سلفاويل من الجامعة العبرية اتضح أن تلاميذ الفلاشا يعاملون معاملة مزدوجة فى المدارس الدينية . فالمدرسون يقولون لهم : انتم يهود متدينون ، وفى نفس الوقت ينقلون اليهم الاحساس بأن معتقداتهم لا تتفق والدين اليهودى على الاطلاق ، وأن يهوديتهم المزعومة محل شك كبير ، ويضاف الى ذلك مشكلة اللون والفجوة القائمة بين العالم الاثيوبى والعالم الاسرائيلى مما تمخض عنه مشكلة عدم التكيف الاجتماعى للمهجرين الفلاشا .

لقد علق المدرسون على انعزالية واغتراب التلاميذ الاثيوبيين ،

كما أشاروا الى حدوث مشاجرات واشتباكات فى اللقاءات القليلة التى تجمع بينهم وبين سائر التلاميذ .

كما أن فجوة قائمة بين أولياء الأمور والمدارس ، اذ لا يشاركون فى اجتماعات مجالس الآباء ، ولا يعلمون شيئاً عما يحدث فى المدارس ، كما لا يقوم المعلمون من جانبهم بزيارات منزلية لعائلات التلاميذ .

لقد انتهى تقرير مراقب الدولة الى نتيجة هامة استخلصها من تجربة استيعاب فلاشا عملية موسى وأوصى بعدم توجيه القادمين الجدد الى مجالات التعليم الدينى لانخفاض مستواه ، ولأنه ليس فى صالح مستقبل هؤلاء المهجرين .

ومن ناحية أخرى ، تزعم أسر فلاشية عديدة أن بعض أفرادها مازالو فى أثيوبيا لم يتمكنوا من الهجرة لانهم يدينون بالمسيحية حيث أضطروا الى اعتناقها تحت ضغوط شتى .وتقدر بعض الجهات الاسرائيلية عددهم بثلاثين ألفا آخرين ، بل هناك من قدر عددهم بمئات الالآف الأمر الذى يفتح الباب على مصراعيه لمزيد من عمليات التهجير تحت زعم « لم شمل العائلات » ، وهى قضية لا يمكن حسمها بسهولة . لقد صرح الرئيس الأثيوبى السابق منجستو ذات يوم بأنه هو ذاته تجرى فى عروقه دماء يهودية ، فليس بغريب أن نسمع هجرته هو أيضا الى اسرائيل .

ويرى الاسرائيليون الاكتفاء بتهجير أقارب الموجودين حاليا فى اسرائيل من الدرجة الارلى ، ولكن هذا يتطلب تغيير قانون العودة الذى صدر منذ أكثر من ثلاثين عاما حتى يتمكن هؤلاء جميعا من العودة الى ذويهم وأرض ابائهم .

وقد اقترح الحاخام يوسف هدانا – من أحبار الفلاشا – فى رسالة بعث بها الى أحبار اسرائيل الكبار وحصل منهم على الضوء الاخضر للبدء فى عملية تهويد هؤلاء المتنصرين مرة أخرى عن طريق فصد دماء غرلاتهم والغطاس وأكل الحمص لسبعة أيام .

ويبدو أن عمليات تهجير الفلاشا لم تنته بعد ، وقد تتمخض الأيام المقبلة عن عملية « عيسى » التى يتم فيها نقل نصارى اثيوبيا الى تل أبيب .

الخاتمـــة

بعد العرض الموجز للنظريات المختلفة التى أثيرت حول أصل الفلاشا وبداية ظهورهم يمكننا أن نقرر أن المعلومات المتوافرة أمام الباحثين حتى الآن لا تساعدنا على توضيح أصل هذه الطائفة توضيحاً لا لبس فيه أو غموض ، ويمكن أن نقترح بشكل عام أن تأثيرات اليهودية على الثقافة الاثيوبية مصدرها شبه الجزيرة العربية .

أما الرأى الشائع بين اليهود وباحثيهم وايضا بين الفلاشا أنفسهم بأن طائفة « بيت اسرائيل » هى بقايا سبط دان ، فانه رأى يحتاج الى ما يقويه ويسانده ولا يمكن اقراره لمجرد وجود روايات شفهية لرحالة ظهروا فى القرون الوسطى وما بعدها .

وفيما يتعلق بيهوديتهم ، فاننا أمام خليط من جذور يهودية واضحة وتأثيرات مسيحية بارزة بالاضافة الى جوانب عديدة يمكن ارجاعها الى الاسلام وغيره من المعتقدات الأفريقية السائدة بين القبائل . هذا الخلط العقيدى جعل السلطات الدينية اليهودية فى اسرائيل تتشكك فى يهودية الفلاشا وتفرض عليهم مراسيم وشعائر ينبغى تأديتها لتجديد الايمان لدى هؤلاء .

ان بلورة جماعة الفلاشا قد جاءت نتيجة تطور وتركيب عناصر عديدة مثل الهجرة والزواج المختلط والتشابه الحضارى بالاضافة الى « التعديلات الدينية » مما يجعلنا نجزم بنفى عنصر النقاء اليهودى المزعوم عن هذه الطائفة .

وإذا انتقلنا الى الاوضاع المعاصرة للفلاشا ، وجدنا أن النظرة الاسرائيلية لهذه الطائفة لا تعتمد فى أساسها على وحدة الدين بقدر ما

تعتمد على السعى الى تحقيق أهداف سياسية تخدم النهج الاسرائيلى بوجه عام .

فبعد أن ضمنت اسرائيل تدفق اليهود السوفيت الى أراضيها ، راحت تبحث عن الجاليات الأخرى فى بلاد كالحبشة وزائير والهند وسوريا ليتحقق بذلك « التكافؤ الاجتماعى » والمتمثل فى وجود « سادة » و « عبيد » أو طبقة متعلمة مثقفة وأخرى تقوم على خدمتها وتحقيق متطلباتها .

ولا يخفى على أحد ، أن تطورات الأوضاع السياسية فى المنطقة العربية ، وكذلك فى بعض البلدان الافريقية ، قد ساهم فى تحقيق اسرائيل لاطماعها بتهجير هؤلاء وسيساهم أيضا فى أن توظفهم اسرائيل كما تريد تدعيما وتكريسا للاحتلال .

وكما انخدع يهود اوربا والشرق بالدعايات الصهيونية التى زينت لهم « أرض الميعاد » وزيفت الحقائق أمام أعينهم ، فقد انخدع الفلاشا وسقطوا فى شراك الصهيونية ، وبدأت الأوضاع تتكشف لهم ، وبدأوا يدركون أنهم قد خسروا أوطانهم وحرياتهم وكرامتهم ، وخرجوا عن صمتهم ، فنمهم من بدأ يتذمر رافضاً للوضع المترى فى اسرائيل ، ومنهم - كما اسلفنا - من عجز عن مواجهة هذا الاعصار المدمر فأنهى حياته بيديه ، والأمر الذى لا شك فيه هو أن المستقبل المنتظر للفلاشا هو مستقبل قاتم ومظلم للغاية .

فاذا كان اليهود العرب ، الذين هاجروا منذ أكثر من أربعين عاما ، مازالوا يعانون - وهم الأغلبية - من التمييز والاضطهاد ، فانه أمام هؤلاء الفلاشا سنوات وسنوات ينبغى عليهم أن يعيشوها فى ظل سياسة عنصرية استطاعت أن تلقى بهم فى أتون الصهيونية .

المصادر والمراجع

أولا: باللغة العربية:

اسماعيل راجعى الفاروقى ، أصول الصهيونية فى الدين اليهودى ، مكتبة وهبة ، القاهرة ط ٢ ، ١٩٨٨ .

انطون ذكرى ، قصة ملكة سبأ ، د . ن ، د . ت .

جالينا نيكيتينا ، دولة اسرائيل : خصائص التطور السياسى والاقتصادى ، دار الهلال ، د . ت .

حسن ظاظا وآخرون ، الصهيونية العالمية واسرائيل ، الهيئة العامة للكتب والأجهزة العلمية ، القاهرة ، ١٩٧١ .

حسين فوزى النجار ، أرض الميعاد ، دار المعارف ، ١٩٨٥ .

زاكية محمد رشدى وآخرون تاريخ الأدب السريانى ، دار الثقافة ، القاهرة ، ١٩٧٤ .

صليب سوريال ، دراسات فى أسفار موسى الخمسة ، مكتبة التربية ، الكنيسة الارثوذكسية ، القاهرة ، ١٩٨٧ .

عبد المجيد عابدين ، بين الحبشة والعرب ، دار الفكر العربى ، د.ت.

عبد الوهاب المسيرى . هجرة اليهود السوفيت ، كتاب الهلال ، العدد ٤٨٠ ، القاهرة ، ١٩٩٠ .

.... ، « حاضر الصهيونية ومستقبلها » ، قضايا فكرية ، اشراف محمود أمين العالم ، الكتاب السابع ، أكتوبر ١٩٨٨ .

فتحى فوزى عبد المعطى ، المزاعم الصهيونية فى فلسطين ، سلسلة اقرأ ، العدد ٢٧٤ ، دار المعارف ، ١٩٦٥ .

محمد خليفه حسن ، الحركة الصهيونية : طبيعتها وعلاقتها بالتراث الدينى اليهودى ، دار المعارف ، ط ١ . ١٩٨١ .

محمد مكاوى ، عملية موسى وعملية سبأ ، دار أبوللو ، القاهرة ، ١٩٩٠ .

محمد الهوارى ، السبت والجمعة فى اليهودية والاسلام ، دار الهانى ، القاهرة ، ١٩٨٨ .

.... ، الصوم فى اليهودية . دراسة مقارنة ، دار الهانى ، القاهرة ١٩٨٨ .

.... ، الختان فى اليهودية والمسيحية والاسلام ، دار الهانى ، القاهرة ، ١٩٨٧ .

ول ديورنت ، قصة الحضارة ، ترجمة محمد بدران ، د. ن ، د . ت ،

وليم فهمى ، الهجرة اليهودية فى فلسطين ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، ١٩٧٤ .

يوسف حبيقة ، القطوف الدانية ، معجم سريانى – عربى ، لبنان ، ١٩٥٨

ثانيا : باللغة العبرية :–

ابن شوشان ، أ ، القاموس العبرى المركز ، القدس ، ط ٩ ، ١٩٨١ .

.... ، المعجم الجديد للعهد القديم ، القدس ، ط ٤ ، ١٩٨٢ .

اشكولى ، أ . ، ز ، يهود الحبشة فى الأدب العبرى ، مجلة صهيون أ ، ١٩٣٦ .

ولدمان ، مناحم ، يهود اثيوبيا ، القدس ، ١٩٨٥ .

سجيف ، دافيد ، قاموس عبرى - عربى للغة العبرية المعاصرة نيويورك ، ١٩٨٥ .

سيجل ، بن صهيون ، الوصايا العشر ورؤية الاجيال لها ، القدس ، ١٩٨٥ .

قشانى ، رئوبين ، القلاشا : التاريخ والعادات والتقاليد ، القدس ، د . ت .

قورينالدى ، ميخائيل ، يهود اثيوبيا ، الهوية والتقاليد ، القدس ، ١٩٨٨ .

شاكى ، أ . ح . ، من هو اليهودى فى قوانين دولة اسرائيل ، ط ١ ، ١٩٨٧ .

ثالثا : باللغة الانجليزية :

Chomsky , N. , The Fateful Triangle , Boston , 1983 .

Cohen , I ., Jewish Life in Modern Times , London , 1929 .

Encyclopaedia Judaica , Jerusalem , 1972 .

Hadawi , S. , Palestine , Cairo , 1965 .

Haddon , A. , The Races of Man , Cambridge , 1929 .

Lilenthal , A. , what Price Israel , Chicago , 1953 .

Moor , G. , Judaism , II , Cambridge , 1932 .

Patai , R. , Isreal Between East & West , Philadelphia , 1973 .

Pearl , C. , AXGuide to Jewish Knowledga , London , 1978 .

Riply, w., The Races of Europe : A Sociological Study, London, 1899.

Roth, C., (ed) The Standard Jewish Encyclopaedia, Jerusalem , 1962 .

Schecter , S. , Studies in Judaism , Philadelphia , 1924 .

Super , A. , P. , The Story of Theodor Herzl , London , 1968 .

Ullendorff , E. , Ethiopia and the Bible , London , 1968 .

.........., Review of Leslau's Falasha Anthology, BSOAS,X V,1953 .

.... , Hebraic. Jewish Elements in Abyssinian (Monoghysite) Christianity , J S S , I (July 1956) .

التنفيذ الطباعي
شركة
سويدان وأبو ظهر
بيروت، ص.ب: ١١/٩٣٥٤